16 em Année No. 787

Lundi — 2 — 8 — 1948

بدل الاشتراك عن سنة

مص

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العــــدد ٧٨٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٦ رمضان سنة ١٣٦٧ — ٢ أغسطس سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

أدب المقـــالة

للأستاذ عباس محمود العقاد

نشر الكاتب المطبوع الدكتور زكى نجيب محمود جملة من مقالاته فى مجموعة سماها باسم إحدى هذه المقالات ، وهى « جنة العبيط » .

ولو شاء الكاتب المطبوع لسماها « جهنم الحصيف » ، ولم يكن فى تسميته خطأ ولا خروج عن صدق الدلالة ؛ لأن هذه المقالات فى جملتها تدل على هذه « الجهنم » التى يعانيها الحصيف فى حياته ، فيترجم عذابها وآهاتها فى أسلوب يلوح للقارئ كأنه غير أسلوب العذاب والآهات ، وهو منه فى الصميم . وذلك هو أسلوب السخرية والمزاح .

لا جرم جعل الدكتور زكى شرط المقالة أن يكون الأديب ناقماً ، وأن تكون النقمة خفيفة يشيع فيها لون باهت من التفكه الجميل . فإن التمست فى مقالة الأديب نقمة على وضع من أوضاع الناس فلم تجدها ، وإن افتقدت فى مقالة الأديب هذا اللون من الفكاهة الحلوة المستساغة فلم تصبه ، فاعلم أن المقالة ليست من الأدب الرفيع فى كثير أو قليل ، مهما تكن بارعة الأسلوب رائعة الفكرة . وإن شئت فاقرأ لرب المقالة الإنجليزية أدسن ما كتب ، فلن تجده إلا مازجاً سخطه بفكاهته ، فكان ذلك أفعل أدوات الإصلاح » .

وإذا كانت المقالة كذلك فسم أدب المقالة جنة العبيط أو جهنم الحصيف ، فأنت على صواب .

ولكننا نريد أن نقول إن « المقالة » أنواع وليست بنوع واحد ، وإن اسمها فى العربية لا يحصرها فى هذا الغرض الذى أحب الأستاذ أن يقصرها عليه ، ونريد أن نتفاهم على اسم يطابق المقالة كما يعرفها فى مقدمة هذه المجموعة على التخصيص .

يقول الأستاذ : إن المقالة يشترط فيها « أن تكون على غير نسق من المنطق : أن تكون أقرب إلى قطعة مشمئة من الأحراش الحوشية ، منها إلى الحديقة المنسقة المنظمة » ... ويقتبس رأى جونسون الذى يرى : « أنها نزوة عقلية لا ينبغى أن يكون لها ضابط من نظام » ... قطعة لا تجرى على نسق معلوم ولم يتم هضمها فى نفس كاتبها ، وليس الإنشاء المنظم من المقالة الأدبية فى شىء » .

ومما لا خلاف عليه أن هذا التعريف يصدق على نوع من المقالة يزداد شيوعاً بين الغربيين كلما شاعت الصحافة وشاعت معها أساليب الكتابة العاجلة ، ولكنه لا يحصر جميع المقالات الأدبية ، ولا يصدق على جميع الفصول التى تكتب فى حيز المقالة المستقلة .

فالكلمات التى تطلق على المقالة فى اللغات الأوربية يوشك أن تفيد كلها معنى المحاولة والمعالجة . فكلمة « Essay » وكلمة « Sketch » وكلمة « Treatise » بل كلمة « Study » ، وهى

تترجم أحياناً بمعنى الدراسة لا يعدو القصد منها فى بداية وضعها أن تفيد معنى المحاولة التى يعوزها الصقل والإنجاز ، وكأنها مستمدة من أساليب معامل النحت والتصوير ، يريدون بها الرسم الذى يخطط الصورة قبل تلوينها ، أو النموذج الذى يصب التمثال على مثاله ، وينقلونها إلى الموضوعات الأدبية على سبيل الاعتذار لا على سبيل الاشتراط . كأنهم يتقون نقد الناقد بهذه التسمية ، فلا يحاسبهم على كتابتهم بحساب العمل المتمم الذى استوفى نصيبه من الإتقان ، كما فعل الفيلسوف مونتانى أبو المقالة الأوربية ، حين سمى فصوله بالمحاولات ، لأنه رآها دون ما ينتظر من مثله من التحقيق والاستيفاء ، لا لأنه يحقق بها شروطاً يتقيد بها الكاتب ولا يجوز له أن يخرج عنها .

وكلمة article وهى أبعد قليلا من هذا الغرض ، تفيد معنى الفاصلة أو الجزء ، ويقابلها عندنا معنى « الفصل » الذى يستقل بموضوعه ، ولا يشترط فيه أن يكون فصلا فى كتاب مطول تتممه فصول .

لكن هذه المعانى لا تستوعب أغراض المقالات كلها فى الكتابة الأوربية أو فى الكتابة العربية .

فمقالات باكون وماكولى وأرنولد وسان بيف ليست كلها من هذا القبيل . بل مقالات « وليام هازليت » نفسه على مساهمته فى أدب المقالة كما يعرّفها الدكتور زكى نجيب ، لا تجرى كلها على هذا النسق ، وفيها ما هو أشبه بالبحوث والرسائل فى حيز صغير .

ولا يخفى أن البحث لا يشترط أن يكون كتاباً ضخماً أو كتاباً صغيراً فى عدد الصفحات ، فإذا جاز أن يتم البحث فى حيز مقالة ، فليس ما يمنع انتظامه فى عداد المقالات .

لهذا نقول : إننا فى حاجة إلى اسم غير اسم المقالة للدلالة على نوع المقالات التى يعنيها الأستاذ نجيب .

فهل نسميها المجالة ؟ أو نسميها النبذة ؟ أو نسميها الأحدوثة ؟ أو نسميها الأمالية ؟ أو نسميها المسامرة ؟

إن اسماً من هذه الأسماء أدل عليها من اسم المقالة على إطلاقه ، وقد عرفنا الأمالى والمسامرات والنبذ والمجالات فى الأدب العربى فرأينا فيها مسحة من أسلوب المقالة كما شاع بين الأوربيين فى العصر الحديث .

على أننى لا أدرى هل أقرظ « جنة العبيط » أو أنقدها حين أقول إنها تشتمل على مقالات لا تنطبق عليها الصفة التى قيد بها كاتبها موضوع المقالة الأدبية . ومنها مقالة « أعذب الشعر أصدقه » ، ومقاله « عن أدب المقالة » بعد المقدمة ... فإنهما بريئتان من فضيلة التشمت والخلو من النسق المنطقى وضابط التنظيم إن صح أنها فضائل مشروطة فى جميع المقالات .

إلا أن فيلسوفنا عدو الفلسفة قد استطاع أن يحرص على هذه الفضائل وأن يتجنب المنطق والنظام فى بعض المقالات الأخرى فلم يخطئه التوفيق ، لأنه قد استطاع مع ذلك أن يقول شيئاً تلذ قراءته ويستجيش الذهن إلى التفكير .

قال فى مقال « النساء قوامات » :

« إذا عشت فى أمة هازلة حملك الناس محمل الهزل إن كنت جاداً ، وأخذوك مأخذ الجد إن كنت مازحاً »

ثم قال : « ولست أرى لك حيلة سوى أن تقسم لهم فى مستهل الحديث بالذى بسط لهم الأرض ورفع السماء أنك فيما تحدثهم به إنما قصدت إلى الجد ولم تقصد إلى المزاح » .

وأحب أن أقول للكاتب الفاضل إننى أعرف هذه الخصلة جد المعرفة ، لأننى كثيراً ما كنت من ضحاياها .

ومن ذاك أننى اقترحت مرة على مسمع من شيوخ عقلاء أن تعمد الحكومة إلى تجربة نافعة فى كفاح الشيوعية ، وهى إخراج الشيوعيين مرتين فى كل يوم « طابورا » واحداً يمر كل يوم فى حى من أحياء المدينة ، ليرى الناس بأعينهم أى « خلق مقلبة » هذه التى تريد أن تقلب العالم على من فيه .

فضحك الشيوخ العقلاء !

وكتبت ذلك من قبل ومن بعد ، فضحك القراء الألباء .

مع أننى والله جاد فيما أقترح ، ولا أزال مصراً على هذا الاقتراح

أيرى صديقنا الدكتور نجيب أن هذه مقدمة مطمئنة فى صدد الكلام على مقترحاته ؟

ليتمهل قليلا ... أقل من لحظة واحدة ، لأننى سأقول له على الأثر إننى أحسبه مازحاً فيما كتب ، وأحسبه محققاً لشرط

المقالة في تمهيده ، ولن يثنيني عن هذا الحسبان قسم بباسط الأرض ورافع السماء ، ولا إنذار يلوّح به في خاتمة أو ابتداء .

فالأستاذ نجيب يقترح أن تسلَّم النساء زمام الأمور في الأمة مائة سنة ليعلم الناس بعدها أنهن قوامات على الرجال .

ولا حاجة هنا إلى سؤال أكثر من السؤال عمن يعلق الجرس!

هل تتقدم النساء فيستولين على القوامة بأيديهن؟ إن استطعن ذلك فلا حاجة إلى اقتراح ، وسيقمن بالأمر متى استطعنه مئات السنين وأبد الآبدين ، ولا ينزلن عنه بعد مهلة الاقتراح !

أم يعجزن عن ذلك ويكن مع هذا قادرات على القوامة ؟

لا منطق هنا ولا نظام ، ولكنه مزاح على شرط المقال في تمهيد « جنة المبيط » ... وحق باسط الأرض ورافع السماء !

وإنما أسوق هذا التعقيب لأخلص منه إلى نتيجة لا تجافى المنطق ولا النظام ، فأقول للأستاذ نجيب : اكتب على شرطك أو على غير شرطك ، ما دمت على الحالين تقول ما يطيب وتقول ما يصيب .

عباس محمود العقاد

أيهـــا العرب

اعلموا أن العالم كله يحاربكم

الأستاذ نقولا الحداد

أشرف لكم أن تشرب الأرض دماءكم من أن تنزف نزفاً بطيئاً بين براثن الصهيونية .

رأينا أن الدول في لايك سكسس ترجنا بالحجارة كلما بُسطت قضيتنا في مجلس الأمن أو هيئة الأمم . ونحن نتعرس من أن هذه الدول عميت عيونها عن حقنا في حين أن حقنا ناصع كالشمس رأد الضحى في هذه الاجتماعات الدولية . وكلما شددنا أنفسنا قلنا « سننتصر لأن الحق معنا »

لا يا سادتي . لا تعتمدوا على الحق . لأن الحق لا يكون سلاحاً ماضياً إلا في عالم الأخيار حيث يتجلى الحق الإلهي فيسجد له الأبرار . وأما عالمنا هذا فهو عالم الأشرار حيث يتجلى الظلم والاستئثار . فلا تعتمدوا على سلاح الحق فهو سلاح الخيال ولا وجود إلا لحرفيه « ح . ق » . وما هذه الاجتماعات التي تعقد في لايك سكسس إلا مؤتمرات شيطانية يعقدها أبالسة السياسة فيما هم يتقاسمون مغانم الحرب من دماء الأمم الصغيرة . والحمد لله إن الدول المتناهبة الغنائم غير متفقة فيما بينها وإلا سحقت جميع الأمم الصغيرة سحقاً في بطونها الكبيرة .

فلا تعتمدوا يا سادتي على سلاح الحق . لا سلاح لكم إلا عزمكم وحزمكم وأنفتكم وحصافتكم ثم سواعدكم . فإن انتصرتم فزتم بكيانكم الشريف . وإن هلكتم سلمتم من مذلة العبودية لشياطين الصهيونية ويا لها من مذلة الجمة وعبودية لجنس ليس من البشر وليس له رحمة ولا رأفة ولا إنسانية .

رأيتم أن مجمع المتآمرين في لايك سكسس قد عرف واعترف أن الهدنة كانت في مصلحة اليهود ، وأنه لم يحترمها إلا العرب . وقد ثبت أن اليهود غنموها فرصة لإدخال فريق من المهاجرين إليهم ولاستقبال الأسلحة والطائرات ودبابات لم تكن موجودة عندهم ، والطائرات الضخمة التي غزت القاهرة بالأمس ما كانت إلا إحدى الطائرات التي دخلت تل أبيب في شهر الهدنة . وظهر لكم جلياً أن الهدنة الثانية تقررت لأجل غير معين — أستبق إلى أن تتوطد دولة إسرائيل الزيفة ولو طالت أشهراً وسنين ؟ وقد ظهر لكم أن برنادوت كان أخبث من صل وأروغ من ثعلب؛ فكان يغض نظره عن اليهود فيما هم ينقضون الهدنة ساعة بعد ساعة ، وما وسعه إلا أن يقول إني لم أذهب إلى فلسطين لكي أوطد حقاً أو أقيم عدلاً ، بل لكي أوفق بين فريقين مختلفين . ولكنه أخفق في عمل هذه الأعجوبة ، لأنها أعجوبة مزج الظلمة بالنور . وما تورّع أن يطلب من مجلس الأمن ٢٥٠٠ جندي لكي ينفذ الهدنة بالقوة . وإن لم يكف هذا العدد طلب أيضاً عدداً مثله . ويظل يطلب إلى أن يصير عنده مائة ألف . أو يأتي أخيراً بقوات أمريكا وإنكلترا . وربما طلب أخيراً قنابل ذرية .

أفليست كل هذه التصرفات والاستعدادات لإقامة دولة صهيونية بالقوة القاهرة ؟ فإذاً ليست الهدنة هذه هدنة بالمعنى

الحقيق المفهوم ولا سيما أن أحد الفريقين لا يريدها ، وما طلبها إلا الفريق الذى رأى نفسه مغلوباً على أمره .

وما جرى فى لايك سكسس ليس كل ما تفعله الدول الكبرى اللئيمة ضد العرب . بل هناك مساع إبليسية لمنع بعض الدول الصديقة للعرب من مساعدتهم فى الحصول على سلاح .

فأولا : إن الدولتين الكبيرتين اللئيمتين تهددنا تركيا بأن تكفا عن مساعدتها مالياً إذا كانت تسهل للعرب الحصول على السلاح . ولكن هل يمكن إنكلترا وأمريكا أن تقطعا المساعدة المالية عن تركيا وهما قد ترجتاها أن تقبل هذه المساعدة لكى تكون ترساً لهما ضد روسيا . فهل جُنت هاتان الدولتان حتى تضيعا هذا الترس لأجل سواد عيون اليهوديات أو زرقتها ؟ لا نظن أن تركيا تخاف هذا التهديد .

ثانياً : تهددنا اليونان بأن تجعلا بلادها أتون ثورات إلى أن تضمحل فيه إذا كانت تسهل للعرب الحصول على الســـلاح . ولكنا لا نحن ولا اليونان نصدق أن إنكلترا وأمريكا تتخليان عن اليونان لكى تقع فى إحبولة السوفيات .

ثالثاً : أغرتا فرنكو سيد أسبانيا أن تزيلا الجفاء الذى بينه وبين هيئة الأمم لكى تقبله الهيئة فى حظيرتها . هذا إذا كان لايساعد العرب فى الحصول على السلاح ، ولكن هل يعبأ فرنكو بوعدهما ، وهو لا يعبأ بهيئة الأمم أكثر مما أعبأ بمؤتمر الدول الخمس حين دعته هذه الدول لكى تفاوضه بشأن موقفه فهز كتفيه وقال لا أحضر مؤتمركم . فمن يريدنى فليأتِ إلىّ . لا ثقة لفرنكو بعدالة هذه الهيئة أكثر من ثقته بقوة جمعية الأمم المرحومة .

هذا بعض ما ظهر من لؤم الدولتين الكبيرين فى مقاتلة مصلحة العرب وفى معاونة صهيون . زد على هذه المساعى الشريرة التى تسعاها الدولتان الكبريان ومن مالأهما فإنهما تهددانا بالعقوبات الاقتصادية . وهل إحداهما الأكثر نفاقاً تعلم أننا لا نعبأ بالعقوبات الاقتصادية لأن عندنا عقوبات لها أقوى منها . وتعلم أيضاً أننا نستغنى عن استيراد أى شىء من الخارج . فعندنا أرض تنتج الغلال ، وإن احتجنا إلى غذاء نأكل الحجارة . وعندنا قطن وصوف ومعامل لغزلها ونسجهما . وإن احتجنا إلى كساء ننسج من الخيش ملابس . وعندنا النفط والقطن وهم لا يستغنون عنهما . فواحدة باثنتين .

أيها العرب لا تيأسوا فلكم من الله ما يقيكم شر أولئك الأشرار . اصمدوا ولا تجبنوا ولا تحسبوا حساباً لتهديدهم لا تتكلوا على سلاح الحق لخصومكم لا يقيمون للحق وزناً ، ومجلس الأمن ليس محكمة لوضع الحق فى نصابه ، ولا هو ميزان العدالة .

إنى أكاد أنشق غيظاً حين أرى أعداءنا يقيمون بيننا يقاسموننا رزقنا ، ولهم النصيب الأوفر منه . وهم يكيدون لنا ويغدرون بنا . وكل يوم عندنا بينات على خبثهم وغدرهم ، ليس فى فلسطين فقط بل فى سائر البلاد العربية . وقد تمادى كيدهم حتى رموا القاهرة بقنابلهم .

كيف نسمح لألد أعدائنا أن يعيشوا بيننا ويغدرون بنا ونحن سكوت لا نتكلم ولا نعمل ؟ ! يجب طردهم ومصادرة أموالهم . فهم قوم لا إنسانية عندهم ولا رحمة ولا شفقة . لقد رأيتم ما كان من توحشهم فى دير يس وطبريا وغيرهما . فاعلموا أنكم سترون أضعافه إذا ثبت لهم قدم فى وسط البلاد العربية .

أما أنتم أيها الأمريكان المغفلون والإنكليز البلداء وأمثالكم فبعد عشرين سنة ستقولون : حقاً أننا عادينا العرب ظلماً وعدواناً . وستكرهون اليهود كما كرههم الألمان قبلكم . وسيقوم فيكم هتالرة يفعلون بهم أكثر مما فعله هتلر الألمان فيهم — غفر الله له !

نقولا الحداد

الاتجاهات الحديثة في دراسة التاريخ

للدكتور جواد علي
سكرتير المجمع العلمي العراقي

تحتل نظرية التطور « Genetic » مكاناً بارزاً بين النظريات التاريخية ، وقد تقوى مركز هذه النظرية بعد تطور مفهوم التاريخ ، وظهور ما يسمى بفلسفة التاريخ . وقد ابتدع هذا الاصطلاح الفيلسوف الفرنسي الشهير « فولتير » « Voltaire » الذي كتب بحثاً طريفاً في عام ١٧٦٥ ، تناول فيه عادات ونفسيات الشعوب ، والحضارة البشرية بصورة عامة ، وفلسفة التاريخ الإنساني العام ، وجعل عنوان هذا البحث « la Philosophie de l ' histoire » أو « فلسفة التاريخ » ومنذ هذا العهد شاع هذا الاصطلاح حتى أصبح عنواناً لموضوع دراسة قائمة بحد ذاتها ، ومذهباً من مذاهب التاريخ .

وخلاصة نظرية فولتير أن التاريخ البشري عبارة عن كفاح مستمر نحو عالم أرقى وبشرية أسمى ، وتطور دائم نحو عالم أكمل ، أي أنه سار مع أصحاب نظرية التطور ، وسائر التفائليين على الرغم من روح التشاؤم التي عرف بها هذا الفيلسوف . وقد استخدم الفيلسوف الألماني « هيردر » « Herder » هذا الاصطلاح الذي أوجده فولتير في كتابه القيم الذي سماه « آراء في فلسفة التاريخ الإنساني » وشاع منذ هذا الحين بين الألمان ، ثم انتقل إلى سائر اللغات الأوربية الأخرى .

وشاعت « فلسفة التاريخ » في أوربا وحاول أصحاب هذه الدراسة وضع قواعد وأسس كالتي نراها في العلوم الطبيعية لتحويل التاريخ إلى علم مثل سائر العلوم ؛ حتى طغت على الطريقة المألوفة في كتابة التاريخ العام ، وظهر منهم من رأى وجوب إخضاع « التاريخ العام » لقواعد فلسفة التاريخ ، وتحويل « التاريخ » إلى فرع من فروع الفلسفة أو طريقة من طرق « علم النفس » بحيث نتمكن بواسطته من الإطلاع على النفس البشرية وروحية الإنسانية منذ عرفت إلى ما شاء الله . وقد وجدت هذه النظرية أنصاراً وأتباعاً في نهاية القرن التاسع عشر وكونت لها مدرسة كبرى كان من أساطينها الفيلسوف « ريكرت » « Rickert » و « سيمل » « Simmel » و « ترولش » « Troeltsch » و « دبلتاي » « Dilthey » و « هايدكر » « Heidégger » وعلى رأس هؤلاء جميعاً الفيلسوف الكبير « ويندلبند » « Windeband » صاحب المؤلفات المعروفة في الفلسفة وفي فلسفة التاريخ .

والتاريخ في الواقع أهم العلوم التي تتأثر بالعواطف والميول الفردية والجماعية والسياسة العامة للدولة والشعوب ، ويمكن أن نقول إنه مرحلة تمهيدية للسياسة العملية ، ولذلك تحرص الحكومات بجميع أنواعها على الهيمنة عليه وعلى الطرق التي يدون بها هذا العلم ، ومن أهم الطرق المعروفة والتي دونت بها كتب التاريخ الطرق الآتية :

١ — الطريقة الثنائية الثيوقراطية في التاريخ ، وهي من أقدم الطرق الشائعة حتى اليوم في تدوين التاريخ . وهي الطريقة الرسمية للكنيسة الكاثوليكية ، ولآباء الكنيسة منذ عهد القديس أوغسطين « ٣٥٤ — ٤٣٠ م » « Augustinus » منظم هذه النظرية وواضعها ، وقد سيطرت على عقول المؤرخين المسيحيين طيلة القرون الوسطى . ولا زالت تسيطر على عقول كتاب الكنيسة حتى اليوم .

والسبب في تسميتها « ثنائيه » « Dual » أنها تصورت وجود مملكتين « مملكة الله » « Civitās dei » ومقرها السماء ، و « مملكة الشيطان » « Civitas terrena or diaboli » ومقرها العالم السفلي أو الأرضي ، ورئيسها « الشيطان » ، وهي دولة معادية للخالق وفي حرب مستمرة مع انصار الله . وقد تأسست هذه الدولة بسقوط لوسفر Lucifer من السماء إلى الأرض ، وكان « قابيل » « Kain » قاتل أخيه « هابيل » أول مواطن في هذه المملكة ؛ لأنه استجاب داعي « ابليس » فقتل أخاه ، وهو بهذا أول قاتل على وجه الأرض . وأما « هابيل » « Abél » المقتول فإنه من مواطني مملكة الله . إذ غفر الله له الخطيئة التي ارتكبها آدم وشمله بعفوه ورحمته وأودعه مملكته في السماء .

ودولة « إبليس » على سطح الأرض قائمة ولا زالت تحاول بسط نفوذها على ممالك الكرة الأرضية ، وكانت أولى الدول التي استجابت نداءه دول آسية والقيصرية اليونانية — الرومانية . وقد تمكن إبليس بفضل أساليبه المرونة في الإغراء والهيمنة على العقول من السيطرة على عقول حكام هـذه الدول إلى أن ظهر « المسيح » الذي جاء لإنقاذ البشرية وإعادة مملكة الله على هذه الأرض ورفع « الخطيئة » عن أعناق البشر . فأبى أعـداء الله إلا اجابة دعـــوة إبليس ، وقد انتقلت دعوة المسيح إلى الكنيسة فهي التي ترعاها وتدافع عنهـا وتسعى لتأسيس مملكة الله من جديد ونشر مبادىء الله بين المذنبين .

وقد قسمت هذه النظرية البشر أفراداً وجماعات إلى طائفتين : طائفة « أبناء الله » وهي التي آمنت بالله وعملت وفق أحكامه وأوامره وسعت لنشر مبادئه بين الأمم الأخرى ، وهي تحب الأمن والسلام وترجو العافية في كل مكان وتبتغي حياة الاستقرار ونشر المحبة ، وطائفة « أبناء إبليس » أو « أبناء الشيطان » وهي التي استجابت لدعوة الشيطان وتحزبت له وتجندت في صفوفه ، وهي قلقة مضطربة لا يستقر لها قرار ، تريد نشر الفوضى والتخريب والنزاع فيما بين البشر وسفك الدماء ، شأنها في ذلك شأن سيدها الشيطان الذي يحاول بكل ما عنده من حيل ووسائل ، العمل على تقويض « مملكة الله » ومســـاعدة أعمال « الدجال » « Antichrist » وتحبيذ فعله ومحاربة « الكنيسة » وتشجيع « الخطيئة » ؛ غير أن نجاحه هذا وقتي وستزول مملكته في النهاية وينتصر جنود الله . وعندئذ يكمل التاريخ البشري وتسود المحبة كل الشعوب ، وتنتفي الخطيئة وتشمل رحمة الله عباده المؤمنين .

فالغاية من هـذا التطور التاريخي وفق هذه النظرية مرور البشرية في هذه الأدوار الحرجة التي يكون فيها المؤمن كالقابض على جمرة النار فيمتحن الله فيهـا عباده ، إلى أن تتداعى مملكة إبليس فيحصـل « أبناء الله » على شرف « المواطنة في مملكة الأب » ولا يتحقق هـذا الهدف إلا إذا دان الإنسان بمبادىء الكنيسة ، واعتبر كل ما هو موجود على سطح الأرض زائلا لا يدوم ، وإن الدوام لله ، وإن الأموال واسطة للقربى من مملكة الله ، فيجب التصرف فيها وفقاً لأوامره وللأحكام التي وضعتها الكنيسة ، يشمل ذلك الأفراد والجماعات .

وتسرى هذه الأحكام على الدول خاصة ، وعلى الحكام أمناء الله على العباد ، لأن وظائف الدولة هي وظائف عالية ، وبيدها مقدرات ملايين الناس ، وقد اختار الناس بمجرد حريتهم أمثال هذه المؤسسات الاجتماعية لخدمة مصالحهم وحقوق الله ، فلا يجوز للحاكم أن يحيد عنها ويتعداها فتصبح الدولة دولة من الدول الممثلة لإرادة الشيطان ويكون الحاكم طاغية من الطغاة « Tyran » فيحرم من حق المواطنة في مملكة الله . وتصبح الدولة التي يديرها آلة من آلات الشيطان مسخرة لتنفيذ أحكامه . ولضمان التعاون مع « أبناء الله » وتنفيذ مبادئه يجب الأخذ بناصر الكنيسة ورجال الدين أولياء الله على هذه الأرض .

ومن هذه النظرية استمد الباباوات سلطانهم وحاولوا فرض إرادتهم في القرون الوسطى على الحكام الزمنيين ، باعتبار أنهم يمثلون السلطات الشرعية التي هي أرفع السلطات وأنهم ينفذون أوامر الله بين الناس ، وأن ذلك لا يعني العبودية ولا الخضوع لإرادة الكنيسة التي لا تمرف الرق بل تعني التسليم عن اختيار ، والإيمان المحض مع الشعور بما يترتب على ذلك من مسئوليات . وقد كانت هـذه النظرية مصدر نزاع بين الحكام الذين كانوا يرون في هذه العقيدة سبباً من أسباب التدخل في الأمور الدنيوية التي يجب أن يبتعد عنها رجال الدين ، والتي تتنافى مع مبادىء الدين نفسه .

إن هذا التفسير للتطور التاريخي هو تفسير ديني ، وهو تفسير يتقارب في الأفكار العامة مع تفاسير رجال الأديان وإن كان يتعارض مع التفاصيل ومن له مصدر هذه السلطات . ويتقارب « البروتستانت » في التفسير التاريخي مع هؤلاء على الرغم من اختلافهم عن الكاثوليك في سلطة « الباباوات » ورجال الدين . وربما كانوا أقرب إلى نظرية « أوغسطين » من إخوانهم الكاثوليك .

وممن دافع عن هذه النظرية المؤرخ « بوسويه » « Bossuet » « ١٦٢٧ — ١٧٠٤م » في كتبه التي ألفها في التاريخ ؛ فعنده أيضاً أن نهاية التاريخ هي تحرر الإنسانية من « الخطيئة » وإقامة حكومة الله . وقد اعترف في كتبه بوجود سلطتين في العالم سلطة

الكنيسة وسلطة الدولة ، وسلطة الكنيسة بالطبع هى العليا لأنها تمثل مبادىء الله على هذه الأرض . وعالم آخر إيطالى هو « ويشو » « L. Vico » ١٦٦٨ — ١٧٤٤ م » وهو صاحب أبحاث قيمة فى التاريخ ؛ وعنده أن تطور كل أمة يخطو خطوات ثلاثا « ثيوقراطية » و « مرحلة القوة والبطولة » و « المرحلة الإنسانية » . حيث تسود فيها قوانين الله وشريعة العقل ، ويسير الله فى كل هذه المراحل وعند جميع الأمم هذه الأدوار بحكمته وإرادته وربط فيما بينها ؛ ولذلك يسير التاريخ على الرغم مما نراه من استقلال ظاهرى متضامناً يؤثر بعضه فى بعض ، والكنيسة هى أعلى مؤسسة ثقافية ظهرت فى التاريخ البشرى ، وسيكون النصر لها . وهنالك مؤسسات ثقافية أخرى ظهرت عند البشر هى الثقافة العبرانية واليونانية والرومانية وقد أزالتها الحضارة المسيحية سيدة الحضارات .

وقد صيغت هذه النظرية المسيحية للتاريخ فى أسلوب واضح حديث عند بعض المؤرخين مثل دمستر « J. M. de maistre » « ١٧٥٤ — ١٨٢١ م » وهو إدارى وفيلسوف فرنسى ، وكان يمثل الكاثوليكية المحافظة فى نظريته عن الدولة وأثناء ممارسته للسياسة . وكان يرى أن سلطة البابوية فوق سلطات الملوك والحكومات ، ويجب أن تكون كذلك لأنها تمثل إرادة الله التى هى فوق كل إرادة ، والفيلسوف فون جورس J. J. Von göures ١٧٧٦ — ١٨٤٨ م ، وهو الكاتب السياسى الذى أيقظ الروح الكاثوليكية وصبغها بالصبغة « الرومانتيكية » ودعا وهو فى بلاط الملك « ليدويك » ملك « بافاريا » إلى إرجاع السلطة المقدسة العليا إلى مكانتها السابقة وإلى الاعتراف بها على أنها أم مرجع يجب الركون إليه فى حل المشكلات .

وقد اصطبغت هذه النظرية الدينية بصبغة « رومانتيكية » صبغها بها الكتاب الذين تأثروا بالمذهب « الرومانطيقى » أمثال « فريدريك شليكل » « Fr. Schlegel » « ١٧٢٢ — ١٨٢٩ م » فى كتابه « فلسفة التاريخ » . وهو من كبار أصحاب المذهب « الرومانطيقى فى ألمانيا » وبالمس « Balmes » « ١٨١٠ — ١٨٤٨ م » والفيلسوف البروتستانتى روشول « Rocholl » و « كروب » « grupp » .

وكان من نتائج تقدم العلوم الطبيعية وشيوع الآراء العقلية التى تطرد كل ما لا يقبل التصديق عن العقل « Aufklärung . Philosoplis » ولا تؤمن إلا بالتجربة وشيوع المذاهب المادية ومحاولة العلماء تطبيق القوانين والنتائج التجريبية « Empiri » حتى على العلوم العقلية البحتة . وقد قوت الثورة الفرنسية هذه الحركة وساندتها نظرية داروين المعروفة وما أعقبها من آراء طبقت فى التاريخ وفى علم الاجتماع وعلم النفس .

وكانت الطرق التاريخية المعروفة تعتمد إلى درجة كبيرة فى سرد الحوادث على ذكر « الأفراد » الموهوبين الذين كانوا يصنعون التاريخ على حد قول أكثر المؤرخين . وقد خالف القائلون بالمذهب المادى فى التاريخ هذا الرأى ، وأشادوا على العكس بفعل الجماهير وأثرها العظيم فى تكوين الأفراد . وقد تولد من هذه النزعة المادية التى دخلت التاريخ ما يعرف بالمذهب المادى فى التاريخ .

والفكرة المادية قديمة جداً فى الواقع ؛ فهنالك أناس نادوا بها فى عالم اليونان مثل « Leucippus van Abdera » وكان من المعاصرين للفيلسوف « Anaxagoras » « ٥٠٠ قبل الميلاد » والذى كان من تلاميذه « ديمقريط » « Demokrit » . ومثل « أبيقور » الذى أرجع أصل كل شىء إلى المادة . وكان هنالك جماعة آخرون .

غير أن المسيحية وقفت هذه الحركة المادية ، وعرقلت انتشارها طيلة القرون الوسطى وما تلا ذلك إلى أن كتبت لها العودة ثانية فى القرن الثامن عشر للميلاد ، فأخذت توجد لها أنصاراً وأعواناً إلى أن شملت جماعة من أصحاب العلوم العقلية ، كالفلسفة والتاريخ ، وقد ظهرت فى التاريخ على شكلين : شكل يقال له « المادية البيولوجية » « the Biological materialism » وشكل يقال له « المادية الاقتصادية » . « the okonomicral materialism » . أو « المادية الاجتماعية » . « Somialismus materialism » . وأحياناً « الديالكتيكية المادية » .

(البقية فى العدد القادم)

جواد على

كتاب النوادر
لأبي عبد الله محمد بن الأعرابي
إملاء أبي العباس أحمد بن يحيى النحوي
(مخطوط عالي نفيس)

للأستاذ أحمد سامح الخالدي

عثرت في خزانة الكتب الخالدية في بيت المقدس على الجزء الأول من كتاب [النوادر لابن الأعرابي] أما الجزء الثاني فمفقود وقد بحثنا عنه طويلاً فلم نعثر له على أثر . وقد أسرعت فكتبت إلى البروفسور بروكلمان العالم الشهير في مدينة هال ، ووصفت له الكتاب ، فكان سروره عظيماً بهذا الخبر ، وقد أجابني قائلا إن الكتاب نادر الوجود على ما نعلم ، وحثني على دراسته وإخراجه لأنه من أنفس كتب الأدب وأجلها قدراً .

ومعلوم أن ابن الأعرابي عاش في القرنين الثاني والثالث وكان من كبار أئمة اللغة والمشتغلين فيها ، وعاصر كبار رجال عصره وأخذ عنهم ، وهو ربيب المفضل الضبي صاحب المفضليات .

ومما يزيد في قيمة هذا المخطوط النادر أن النسخة التي بين أيدينا هي من إملاء أبي العباس أحمد بن يحيى النحوي (ثعلب)[١] وقد نسخت لخزانة صاحب الحبس أبي عبد الله الكناني من نسخة بخط أبي علي الآمدي كتبها للوزير أبي الفضل بن الفرات[٢] من خط أبي موسى الحامض[٣] ، وعورضت بها ، وعارض بها الوزير نسخة بخط ابن الكوفي[١] وبخط ابن الحداد عن أبي العباس ثعلب . عن ابن الأعرابي ، وقد دونت هذه الزيادات في الحواشي ثم قرئت بعد ذلك على ابن خرزاز فصحت .

وصف المخطوط :

تقع المخطوطة في ٢٨٧ صفحة وهي مكتوبة على ورق صقيل جيد يميل إلى الصفرة ، وقد كتبت بالخط النسخي الواضح بالحبر الأسود . وقد شكلت حروفها وزيدت عليها زيادات في الحواشي بالحبر الأحمر ، فما كان عليه كاف فهو من نسخة ابن الكوفي وما كان عليه حاء فهو من نسخة ابن الحداد .

وطول الصفحة ٢١ سنتمتراً وعرضها ١٦ سنتمتراً وقد بدأت السوسة تأكل صفحاتها .

تاريخ النسخ :

نسخت هذه النسخة لخزانة صاحب الحبس أبي عبدالله إبراهيم ابن محمد بن حسين بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن الحكم الكناني[٢]

وقد انتقلت النسخة بعد ذلك إلى (أحمد بن محمد بن عبد الكريم) ثم (سلمان بن إبراهيم بن سلمان) وانتهت إلى وقف السيد أحمد الوقت القدسي المتوفى سنة ١١٧١هـ ، وكان للسيد المذكور خزانة كتب نفيسة ، وآلت في النهاية إلى خزانة الكتب الخالدية منذ أوائل هذا القرن .

ومما لا شك فيه أنها نسخة معتبرة لأنها نسخت عن نسخة بخط الآمدي كتبها للوزير ابن الفرات وهو قريب عهد بالمؤلف . كما أنها عورضت بنسخ أخرى معتبرة .

من هو ابن الأعرابي ؟

يصفه لنا ابن النديم في فهرسته ص ١٠٢ . وابن النديم من رجال القرن الرابع ألف كتابه العجيب سنة ٣٧٧ هـ وتوفي سنة ٣٨٥ هـ .

(١) توفي أبو العباس ثعلب سنة ٢٩١ هـ وله من الكتب كتاب المصون في النحو ، وكتاب اختلاف النحويين الخ . وله مجالسات أملاها على أصحابه تحتوي على قطع من النحو واللغة والأخبار ومعاني القرآن والشعر مما سمع .
[الفهرست لابن النديم ص ١١٠] .

(٢) كان وزيراً للمقتدر العباسي ، ولما قتل الخليفة سنة ٣٢٠ ، استتر الوزير (الفخري ص ٢٤٧)

(٣) من أصحاب ثعلب ، يوصف بصحة الخط وحسن المذهب في الضبط وكان يورث وله من الكتب كتاب النبات وكتاب الوحوش الخ . (ابن النديم ص ١١٧) .

(١) أبو الحسن علي بن محمد الأسدي عالم صحيح الخط راوية جماعة للكتب صادق في الحكاية متقن بحاث (ابن النديم ص ١١٧)

(٢) لم نستطع تعيين وفاته لبعدي عن جميع المصادر .

فيقول « إن أبا العباس ثعلب وهو تلميذه شاهد فى مجلس ابن الأعرابى وكان يحضره زهاء مئة إنسان ، فكان يسئل ويقرأ عليه ، فيجيب من غير كتاب ، وقد لازمه بضع عشرة سنة ، ولم ير فى يده كتاباً ! » .

ويقول إنه مات (بسر من رأى) وقد أملى على الناس ما يحمل على جمال . ولم ير أحد فى الشعر أغزر منه ، وقد قرأ على القاسم ابن معن[1] وسمع من المفضل[2] وذكر أنه ربيبه وكانت أمه زوجة المفضل وأنه ولد سنة ١٥٠ هـ وهى الليلة التى مات بها أبو حنيفة ومات ٢٣١ هـ . ثم ذكر كتبه على ما سيأتى فى آخر المقال ...

أما عبد الرحمن بن محمد الأنبارى المتوفى سنة ٥٧٧ هـ صاحب نزهة الألباء فى طبقات الأدباء (ص ٢٠٧ — ٢١٣) فقد قال إنه كان مولى لبنى هاشم ، وإنه من أكابر أئمة اللغة ، وإنه أخذ عن الكسائى[3] كتاب النوادر وعن أبى معاوية الضرير[4] ، وأخذ عن ابن ثعلب أحمد بن يحيى وهو الذى أملى هذا الكتاب . وإذا أخذنا بقول الأنبارى ، جاز أن تكون هذه النوادر للكسائى أخذها عنه تلميذه ابن الأعرابى ولا بد من مقابلة هذه النوادر بنوادر الكسائى فى كتبه الثلاث لتصح هذه النظرية .

وفى رأى ابن الشمرانى أن سفيان الثورى كان رأساً فى الحديث وأبو حنيفة فى القياس والكسائى فى القرآن وابن الأعرابى فى كلام العرب .

أما ياقوت فى معجم أدبائه . فقد ذكره فى صدد ترجمة أبى سعيد الضرير (ص ١١٨) فقال إنه أقام بنيسابور وأملى بها المعانى والنوادر ولقى ابن الأعرابى ، وفى (ص ١١٩) يقول إنه صحب بالعراق أبا عبد الله محمد بن زياد ابن الأعرابى وأخذ عنه .

(١) أخذ عنه ابن الأعرابى ، ولاه المهدى القضاء كان من أشد الناس افتناناً بالآداب كلها كان من جلساء أبى حنيفة توفى أبو حنيفة سنة ١٥٠ هـ . (ابن النديم ١٠٣) .

(٢) أبو العباس من بنى ثعلبة ، عمل الأشعار المختارة المسماة المفضليات للمهدى ؛ رواه عن ربيبه ابن الأعرابى . (فهرست ١٠٢) .

(٣) النحوى على بن حمزة بن عبد الله الكوفى توفى سنة ١٧٩ هـ ابن النديم ص ٤٤ . وفى ص ٩٨ . يقول إنه توفى سنة ١٩٧ هـ . وله من الكتب النوادر الكبير ، كتاب النوادر الأوسط ، النوادر الأصغر

(٤) هشام بن معاوية الضرير ويكنى أبا عبد الله صاحب الكسائى له كتاب المختصر وكتاب القياس (ابن النديم ص ١٠٤)

وأما ابن خلكان المتوفى سنة ٦٨١ هـ فقد ترجمه فى (ص ٤٩٢) وقال إنه من موالى العباس بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس ابن عبد المطلب ، وقيل من موالى بنى شيبان وقيل غير ذلك والأول أصح .

وابن خلكان يكشف لنا عن جنسيته فيقول إن أباه زيادا كان عبداً سندياً ، وإن ابن الأعرابى كان أحول ، وكان راوية لأشعار القبائل .

ويقول إنه لم يكن فى الكوفيين أشبه برواية البصريين منه. ثم يذكر لنا علاقته بالمفضل الضبى ، وأسماء بعض أساتذته مما مر ذكره ، ويقول إن من تلاميذه ، أبا العباس ثعلب وابن السكيت[1] . وقد ناقش العلماء واستدرك عليهم وخطأ كثيراً من نقلة اللغة وكان رأساً فى الكلام الغريب .

وكان يزعم أن أبا عبيدة[2] والأصمعى[3] لا يحسنان شيئاً . وكان يقول جائز فى كلام العرب ، أن يعاقبوا بين الضاد والظاء ، فلا يخطىء من يجعل هذه فى موضع هذه وأنشد :

إلى الله أشكو من خليل أوده ثلاث خلال كلها لى غائض

وقل فى كشف الظنون ص (٦١٦) تحت باب النوادر ، إن الأقدمين ألفوا كتباً فى النوادر العربية والفقهية سوى ما ذكر منهم أبو عبد الله بن زياد المعروف بابن الأعرابى اللغوى وهو أى كتاب النوادر (رواية أبى العباس أحمد بن يحيى النحوى ويونس النحوى المذكور فى الأمثال وعليه رد لأبى سعيد حسن بن محمد السيرافى النحوى[4]) .

تصانيفه :

وقد عدد ابن النديم تصانيفه فى فهرسته ص ١٠٣ : منها كتاب النوادر ، وكتاب الأنواء ، وكتاب صفة النخل ، وكتاب صفة الزرع ، وكتاب النبات ، وكتاب الخيل ،

(١) من أصحاب الكسائى وابنه يعقوب . وكان مؤدباً لولد المتوكل توفى سنة ٢٤٦ هـ (ابن النديم ١٠٨)

(٢) أبو سعيد معمر بن المثنى التمرى توفى سنة ٢١٠ هـ وله كتاب إعجاز القرآن وغريب القرآن الخ . ابن النديم ٧٩

(٣) هو عبد الملك بن قريب الباهلى توفى سنة ٢٢٣ هـ وقيل ٢١٧ هـ ابن النديم ٨٢ :

(٤) من سيراف توفى سنة ٣٦٨ هـ شرح سيبويه ، له كتاب أخبار النحويين الخ . ورد لابن جيد .

وكتاب مدح القبائل ، وتفسير القبائل ، وكتاب معانى الشعر وتفسير الأمثـال ، وكتاب الألفاظ ، وكتاب نسب الخيل ، وكتاب نوادر الزبيريين ، وكتاب نوادر بنى فقعس ، وكتاب الذباب ، بخط السكرى ، وكتاب النبت والبقل .

ويضيف ابن النديم أنه روى عن جماعة من فصحاء العرب منهم الصمرونى والـكلانى وأبو المجيب الربعى .

نموذج من كتاب النوادر :

نقتصر الآن على إيراد صفحتين من أول الـكتاب ، وصفحتين من آخره لندل بذلك على أسلوبه . وليس للـكتاب فصول ولا أبواب ، وإنما هو إملاء لنوادر العرب ، وقصصهم ، ثم شرح هـذه النوادر ، وما جاء فيها من الـكلام الغريب مع مجموعة زاخرة من المترادفات . قال فى الصفحة الأولى : [بسم الله الرحمن الرحيم ، حسبى الله معيناً — قال أبو العباس أخبرنا ابن الأعرابى قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم جالس مع أصحابه إذ نشأت سحابة ، فقيل « يا رسول الله هذه سحابة » فقال عليه السلام « كيف ترون قواعدها ؟ » قالوا « ما أحسنها وأشد تمـكنها » قال « كيف ترون رحاها ؟ » قالوا « ما أحسنها وأشد استدارتها » قال « فـكيف ترون بواسقها ؟ » قالوا : « ما أحسنها وأشـد استقامتها » قال : « فـكيف ترون برقها أوميضاً أم خفياً أم يشق شقاً ؟ » قالوا « بل يشق شقاً » قال : فقال صلى الله عليه وسلم « الحيا » قالوا « يا رسول الله ما أفصحك ! ما رأينا الذى هو أفصح منك » فقال : « ما يمنعنى وإنما أنزل القرآن بلسانى ، بلسان عربى مبين »

قال : قواعدها ، أسافلها ، ورحاها وسـطها ومعظمها ، وبواسقها أعاليها ، وإذا استطال فيها البرق من طرفها إلى طرفها وهو فى أعاليها فهو الذى لا يشك فى مطره وجوده ، وإذا كان البرق فى أسافلها لم يكد يصدق .

قال رجل من العرب وقد كبر وكان فى داخل بيتـه وكان بيته تحت السماء « كيف تراها يابنى ؟ » قال « أراها وقد نكبت وتبهرت وأرى برقها أسافلها » قال « أخلفت يا بنى »

والومض أن يومض إيماضة ضعيفة ، ثم يخفى ، ثم يومض وليس فى هذا بأس من مطر قد يكون ولا يكون . وأما المسلسل فى أعاليها فلا يكاد يخلف . والاقتذاء نظر الطير ثم إغماضها تنظر نظرة ثم تغمض ، ثم تنظر نظرة ثم تغمض ، قال حميد بن ثور :

تخفى كاقتذاء الطير والليل مابس بجثمانه والصبح قد كاد يسطع اه

وإليك أيها القارىء الـكريم نسوق مقالا آخر وهو ما جاء فى آخر الـكتاب : رماً على الستين ، وأرماً ورمث وطلث وزاحمها وداهمها وحبَّاها [(١)] وحبا لها إذا بلغها وقدعها جازها .

وقال قلت للـكلانى « كم أتى عليك » فقال « قد وات لى الخمسون ذنبها . وقلت لآخر « كم أتى عليك » فقال : « أنا فى قرح الثلاثين » وقال آخر « وقد أخذت بعنق الستين ، وأردأت على الستين وجر دمتها إذا جازها وجردم ما بالحفنة أتى عليه .

وقال الـكلب الغزل الذى يصيد ظبياً فإذا صار إلى الثالث لاعبه ولم يعرض له ، فيقال غزل إذ رآه . ويقال فيه تخنيث . وطرقة وحلة . وقال الدفر النتن متحركة ، والدفر بسكون الفاء الذل ويقال دفر فى عنقه ودفع فى عنقه ومنه قول عمر وادفراه ! أى واذلاه !

ويقال هو معرف سوء ، وثلة سوء ، وبيئة وجيبة سوء . وقال نتطل وتأطل دهم الدواهى .

قال وقالت امرأة ورأت رجلا عهدته شاباً جلداً : أين شبابك وجلدك ؟ فقال من طـال أمره وكثر ولده ورق عدده ، ذهب جلده . وقوله رق عدده أى سنوه التى بعدها ، ذهب أكثرها وبقى أقلها وكان عنده رقيقاً وأنشد :

لم يختر البيت على التغرب ولا اعتناف رجلة عن مركب
فهو ممر [(٢)] كسقاط [(٣)] القنب

الاعتناف : الـكراهة .

يقول لم يختر كراهة الرجلة فيركب ويدع الرجلة ولـكنه اشتهى الرجلة وأنشد :

إذا اعتنفتنى بلدة لم أكن لها نسيباً ولم تسـدد على المطالب

وقال الورق ورق الشباب ، نضرته وحداثته ، والورق قطع الدم ، والورق ورق الدنيا وأنشد :

ترى ورق الفتيان فيها كأنهم دارهمُ منها مستجاز وزائف

[تم الجزء الأول من كتاب نوادر ابن الأعرابى والحمد لله حمد الشاكرين ، يتلوه فى الجزء الثانى : قال الفند اسمه سهل بن شيبان بن بيعة]

أحمد سامح الخالدى

(١) فى الأصل وحباها بتشديد الباء

(٢) الحبل المفتول فتلا شديداً (٣) الحبل

خليـــــل مطران

بمناسبة صدور الكتاب الذهبي لمهرجان تكريمه

للأستاذ وديع فلسطين

قليل ناقه كل ما قليل فى الخليل !

وضئيل وايم الحق ما بذل فى تكريمه .

فخليل مطران من الماهدين(١) فى الشعر الحديث ، ومن معبدى الطريق أمام النهضة الثقافية والفكرية فى العالم العربى المعاصر ، ومن الدعائم الأولى فى بناء الأدب المسرحى فى لغة الضاد ، ومن ذوى الفضل فى استحداث تعبيرات عربية لمصطلحات وعبارات أعجمية كانت مجهولة مغفلة حتى وضع مطران يده عليها وأشاعها وأداعها .

وخليل مطران أديب له تميزه الخاص ، تفاعلت فيه ثقافات شتى ، وذابت فى ذهنه آداب من الشرق ومن الغرب ، وتهافتت على عربيته الأصيلة قطوف غربية متباعدة الأطراف فتفتقت ذهنه ، ونشرت أمام عقله المتفتح مجال المعرفة فسيحاً ، وجعلت منه ركناً ركيناً فى صرح ثقافة الشرق ، وقطباً يخطب المستشرقون ود شعره ، ويلتقى فيه المعنيون بالأدب ذى الطابع الإنسانى الخالد معيناً لا ينضب ، ومنهلاً لا تغيض غواربه .

أنشد الشعر من خمسين عاماً أو تزيد ، فكان أبداً مجلياً مجلوّ البيان ، وكان دأباً فى الطليعة يؤاخى «شوقى» ويزامل «حافظ» ويأخذ عنه ومنه شعراء نصف قرن ، وستهتدى بنظامه ونثره أجيال لما تأت .

أمعن فى الكتابة ، وأوغل فى تدوين « المحبّرات الطوال » فما خاف باباً من أبواب الرأى إلا طرقه ، وما ترك موضوعاً يشغل الذهن إلا جاهر فيه بمعتقده ، وما هجر منحى من مناحى التفكير لعلة ارتآها أو ذريعة تذرع بها .

الشعر ، نظمه .

والمسرحيات ، ترجمها وألفها .

والاقتصاديات ، تضلع منها وحباها بالكثير من وقته وجهده ؛

والصحافة ، مارسها واشتغل بها وحمل أعباءها فما تنكر لها وما تنكرت له .

والمنبر ، ارتقاه منشداً وخطيباً ، فلم تذهب نحولته و« دقة » حجمه بقدرته على امتلاك أفئدة المصيخين له .

فخليل مطران موسوعة حية متنقلة . جالسته كثيراً ، فكان دائماً صاحب زمام الحديث ، يديره يمنة ويسرة ، ويعرج به على القديم ، ثم يقفز إلى الحديث بل إلى المستقبل البعيد . يعالج فنون الأدب والعلم علاج مقتدر أصّل قواعده ، وثبت قدميه . ينظر إلى شؤون الحياة نظرة مشارفة مستعلية فلا تبهره الظاهر ، ولا يحول البهرج دون أن يبدى فى الشأن حكماً سديداً . فقد حلب الدهر أشطره ، واستوعب غاية ما يستطيعه فرد من قراءة واطلاع وبحث . وخبر الناس طبقات طبقات ، وشهد مواكب الدنية تترى أمامه ، ورأى أصولا ثابتة تتداعى ، وقواعد مؤثلة تهوى وتبلى ، وجالس وطوف ، وأقام فعرف الباقيات الخالدات من الفانيات الذاهبات . واستجمع هذه الذخيرة كلها فى رأسه يرتد إليها فى النظم ، ويعود إليها فى المحادثة ، ويغرف منها كلما اشتهى قلمه الكتابة ... وتلك شهوته المفضلة الأثيرة المقدمة على سواها

خليل مطران ، وإن كان قد تسنم قنة المجد ، وارتقى درجات الرفعة السامقة وشهد ملوكاً يضفون عليه من صنوف التقدير ألواناً ورؤساء جمهوريات يتسابقون فى تكريمه والاحتفاء به ، وشعوباً تهتف باسمه وتردد شعره فى كل صقع ناطق بالضاد ، وأقطاباً مرموقين يجتمعون من كل حدب وصوب ليسدوا له الثناء موفوراً على مسمع من الحشود ، وعلى ملأ من المعجبين ... وإن كان مطران قد قرأ كتباً ألفت فى إطرائه وتقريظه ، ومقالات دبجت فى مديحه والإشادة به ، وشعراً أنشد فى تمجيده وتخليده ، غير أن هذه جميعاً لم تفلح فى بث روح الكِبر فى خليل مطران ، ولم تُجد فى حمله على الشموخ والاستعلاء .

فقد ظل الخليل لأصدقائه خليلا ، وأبقى على خلة الانصياع والوداعة ، حتى لقد أفرط فى هذا إفراطاً تجاوز المدى . وكثيراً ما حدثنى عن « تفاهته » وصغر شأنه وعجبه من أن يكون

(١) الماهدون تعبير يطلقه المغتربون العرب على طلائعهم التى كان لها فضل السبق فى الهجرة إلى الدنيا الجديدة وفى استيطان بلاد ليس هم بها معرفة ولا ألفة .

موضوع ذكر من قومه .

وهذا شعره ردد فيه آيات الدعة فيقول :

أخاف من سوء تأويل لرأيكم ... في الفضل لوقلت إني لست بالقمن

ويقول :

سادتي ، جاز فضلكم آمالي ... أجدر شأني بأدنى احتفال

أي شيء أنا الذي نال هذا الـ ... عطف منكم ،ماصحتي،ما اعتلالي

ما يرجى من مشهدي أو مغيبي ... ومكاني إلا من الطيف خالي

عندي الحائلان دون رفيع الـ ... قدر من قلة ومن إقلال

بل لقد يذهب به تواضعه إلى افتقاد رقيق الحال من الأدباء .

وسلوا أحياء القاهرة الفقيرة تجبكم أن خليل مطران أعرف الناس بدخائلها ومخارجها ، وأكثرهم إلماماً بأزقتها وترهاتها ، فقد كان بنفسه يزور كل أديب ، ويبحث عنه أينما كان مأواه ، ليعرف أفي مسرة هو أم في معسرة ، أبه حاجة إلى عون يسدى إليه أم إلى هم يرفع عنه ، أم إلى قلب كبير يواسي قلبه ، أم إلى كلمة تشجيع يحفز بها همته ، أم إلى رفقة تؤنس وحشته ، أم إلى حديث شهي يقسيه علته . وحسبي في هذه السانحة أن أقول إن خليل مطران كان من القلة القليلة التي أحاطت بالشاعر إبراهيم الدباغ يوم ألمت به أسقام البدن ويوم حرمته الدنيا بهجة الإبصار، فكان يقصد صومعته في زورات متتالية منتظمة غير متحرج ولا متردد ولا معاند ، وكان يؤثر مجالسة هذا الأديب على مسامرة الكبراء وذوي اللقب والجاه .

وخليل مطران قوة دافعة للأدباء . يرى هذا يوشك على التمثر فيقيمه ، وذاك يسرف في انحرافه فيقومه ، لا يبخل بالتشجيع ولا يضن بالثناء ، ولا يدخر وسعاً في سبيل بعث الهمة التي تبطت ، ورد روح النشاط التي خمدت .

أتيته يوماً بكتاب ترجمته وقلت له : إني عليم بأمراضك مدرك أنك من طلعة الشمس إلى طلعتها في صبيحة اليوم التالي تبرح بك الآلام وتخضع لنظام دقيق عينه لك الأطباء ؛ فهذه إبرة تحقن في جسمك مرات في اليوم ، وهذه أنواع شتى من الأدوية تتعاطاها شرباً واحتلاباً وابتلاعاً عدا الحمامات الساخنة وأعباء التدليك والتدهين . ورجوته بعد هذا أن لا يكلف نفسه عناد تلاوة هذا الكتاب ، وحسبي فخراً أن أراه موضوعاً في مكتبته .

فما كان من مطران إلا أن قضى الليلة ساهراً ليتلو الكتاب كلمة كلمة ، غير مشفق على بصره ولا على صحته المتهالكة ، ولا مترفق بيديه الكليلتين اللتين لا تقويان على حمل شيء ، حتى إذا ما أوشك الصبح على البزوغ ، كان صاحب القلب الكبير قد أتى على الكتاب جميعه .

أتدرون لِمَ فعل مطران هذا ، ولم عرض نفسه لخطر قد يصيب حياته أو يرد حالته الصحية القهقرى ؟ ؟ لقد فعل الخليل ذلك ليستطيع في اليوم التالي أن يفوه لناشيء بكلمة تشجيع وإطراء ، فيرضى ضميره ويريح نفسه ، وإن كان ذلك يؤدي على حساب الصحة والبصر والإجهاد الذهني .

وللاستدراك أقول إن خليل مطران وصف حالته الصحية يومذاك ببيت من قريض مألوف في قرى لبنان ، نصه :

وجسمي صار نص ميت ونص حي
ونص الحي باقي للعذاب .

هذه صفحة عن خليل مطران رأيت أن أنشرها اليوم في مناسبة ظهور الكتاب الذهبي لحفلات تكريمه . وليت المجال يسعف ، فأدع القلم يتحدث عن مطران الذي عرفته فعرفت فيه إباء في النفس ، وكرماً في الخلق ، وسعة في الصدر ، وسداداً في الرأي ، وبصيرة نافذة في الأمور ، وعفة في اللسان والقلب ، وجرأة في القول والفعل ، وسخاء في العطاء والاحسان ، ووفاء لا يبرحه ، وإخلاصاً يستمده من قلبه العامر بالإيمان ، ومجالدة تدعوه إلى احتمال كل عناء . بل لقد رتب خليل مطران على نفسه واجبات تمهد بالنهوض بها ، فما أخل بوعده ، ولا منعته علة عن تأدية هذه الواجبات جميعاً عن رضا وراحة ضمير .

ولئن كانت هذه المحامد بأسرها قد اجتمعت وتبلورت في خليل مطران ، وأسبغت عليه الشخصية الفريدة التي يزدان بها هذا الأديب الجليل الكبير ، فليس يسع المرء إلا أن يضرع إلى الله أن يلطف به وبصحته ، ويبريء بدنه من الأدواء التي تكالبت عليه ، ويمنحه من فيض رحمته ما يخفف عنه أوجاع المرض ، ويكلأه برعايته في أيام تمر عليه كالسنين والدهور .

فليس عند العروبة سوى « خليل مطران » واحد ، ونحن نراه لا زمة بل ضرورة لأنه بناء لم يعرف الهدم ، ولأنه مجدد مصلح كله وفاء ومكرمات .

وديع فلسطين

الشعر في السودان

للأستاذ علي العماري

كنت أود أن يكون عنوان هذا البحث (النهضة الأدبية في السودان) فأتناول فيه من حديث الشعر والنثر ما يرسم صورة صحيحة أو قريبة من الصحيحة للحياة الأدبية هنا ، ولكن يبدو أنه سيمضي وقت ليس بالقصير دون أن يجد الباحث المادة الضرورية لمثل هذا البحث ؛ فإن نثراً مستقلا يكوّن أدباً لم يتح بعدُ لباحث .

ومن عجب أن يجد الإنسان مادة غير نزرة ولا قليلة للشعر ، ولا يجد شيئاً يمكن أن يعتمد عليه في النثر ، وربما كان لذلك أسباب كثيرة هي في الغالب أسباب سلبية ، وقد يكون من الخير التغاضي عنها ، حتى إذا كان من الخير أن نقول في هذا الشأن قلنا ، ولهذا أرى من الحسن أن أقصر بحثي على الشعر وحده .

وطبعي أن يكون في السودان شعر ، وأن يكون فيه شعر وفير ، فإن أسباب الشعر ودوافعه قوية مستفيضة غالبة ، ولو استجاب الشعراء لها ، ولو لم تشغلهم شئون أخر عن التأثر بها ، والتنبه إليها ، لجاءنا شعر وخير كثير .

وإنه لتروعك الرغبة القوية في دراسة الآداب ، واستظهار المنظوم والمنثور عند كثيرين من أبناء السودان ، فإنك تجد عدداً غير قليل يحفظ الآلاف من أبيات الشعر ، ففضيلة زميلنا الشيخ محمد العبيد الأستاذ بالمعهد العلمي بأم درمان يحفظ شعر شوقي كله ، لا يند عنه بيت منه ؛ وفضيلة الشيخ أحمد العاقب — وهو شاعر — لا يكاد يمر بمسألة ، أو يأخذ في حديث حتى يستشهد بأكثر من بيت من الشعر القديم ، أو من الشعر الحديث . ولقد لاحظت أن دواوين : شوقي وحافظ والبارودي والعقاد هي الدواوين المفضلة عند الأدباء السودانيين . أما القراءة فهم مغرمون بها ، وأكثر ما يقرأون للأساتذة المصريين من كبار الكتاب أمثال طه حسين والعقاد والزيات وهيكل ، وآثر المجلات الأدبية عندهم وأحبها إليهم مجلة الرسالة .

ولا مندوحة لمن يريد الدقة والإنصاف في الحديث عن الشعر السوداني ، أن يقسمه إلى قسمين ، شعر المدرسة القديمة ، وشعر المدرسة الحديثة ، وكلتاهما تعيش في هذا القرن . ونستطيع أن نقول إن المدرسة القديمة سيطرت على الشعر منذ ابتداء هذا القرن أو قبله بقليل ، وبقيت سيطرتها إلى عهد قريب ، وبعض أساتذتها لا يزالون يرفدون الأدب بأشعارهم ، وإن أخذت أئمة المدرسة الحديثة تبدو في الأفق .

وطابع المدرستين جد مختلف ، فبينما نجد سمة التقليد ، والتمسك بالتقاليد ، والسير على النهج القديم ، غالبة على المدرسة القديمة ، نجد شيئاً كثيراً من التحرر والطموح والاستقلال في المدرسة الحديثة . وقد تأخر — ولاشك — ظهور هذه المدرسة ولم يستقر لأصحابها منهاجهم بعد ، ولكني أعتقد أن الخطة الجديدة في نشر التعليم ، وإرسال البعوث إلى مصر وإلى غيرها ستؤتي أطيب الثمار في هذه النواحي . نعم لا يزال الشعراء المحدثون في أول الطريق ، ولكن بواكيرهم تبشر بأنهم يسيرون بخطى حثيثة نحو الكمال والنضوج .

وسأقصر حديثي في هذا المقال على مقومات المدرسة القديمة ومناهجها ، وطابعها ، وشعرائها .

التقليد — في الواقع — هو السمة الأصلية في أساتذة هذه المدرسة . التقليد للشعر القديم وطرائقه ، تقليد في الأغراض ، وتقليد في المعاني ، وتقليد في الأساليب ، كما أن من السمات الغالبة على هؤلاء الأساتذة سمة الوقار والرزانة والتحفظ . ولا غرو فأكثرهم من (المشايخ) بل إن منهم من وصل إلى أعلى المناصب التي يصل إليها الشيوخ في السودان . نعم من شعراء هذه المدرسة من تخرج في كلية غردون ، ومن تعلم تعلما مدنياً ، ولكن هؤلاء — أيضاً — لا يقفون بعيداً عن طائفة المشايخ ، لأن الروح الدينية أبرز مظاهر الحياة في السودان ، وهي قوية مسيطرة ، والشعر — ونحن نتحدث عنه من الناحية الفنية — في حاجة شديدة إلى الانطلاق والتحرر والاندفاع .

الشعراء ينظمون كثيراً في المدائح النبوية ، وفي المدح ، والهجاء ، والرثاء ، وقل منهم من يخرج على هذه الأغراض . أما معانيهم فهي هي التي نشأت مع الشعر العربي ؛ فالشجاع أسد

هصور ، والجيل بدر منير ، والممدوح أندى من الغمام كفاً ، وأجود من البحر يداً ، والفقيد تعزى فيه المروءة والندى ، والعاشق لا يزال يقف على الأطلال ، ويستوقف الصحب ، ويبكي الديار . وأما الأساليب فقلما تميل إلى شيء من الخروج عن منهج الشعر القديم ، فلا تجد شاعراً نظم في غير البحور المعروفة بل إنك لتجد أكثر ما ينظم من الشعر على أوزان البحور المشهورة من الطويل والكامل والبسيط ، هذه الأبحر التي تمثل الوقار والشيخوخة والهدوء . ولا أثر في هذه الأشعار لظل الحياة الجديدة الناعمة المتألقة ، فهي أكثر تأثراً بما يقرأ أصحابها من الشعر القديم ، وهم يجلونه ، فلذلك يحتذونه .

وأبرز ما يصور لنا هذا النهج هو ابتداء القصائد بالغزل ، الغزل المصنوع طبعاً ، فالمدائح ، والتهاني ، والتوديعات ، وأشعار المناسبات ، لا بد من بدئها بالغزل ، ولا بد — مع ذلك — من إظهار المهارة في حسن التخلص ، وجودة الانتقال . على أن بعض الشعراء يترك هذه السنة ليحيي سنة أخرى ، فيبدأ قصيدته بذكر الخمر وسقاتها وندمانها ، أو بذكر النوق وحثها على المسير كأن يقول الشيخ محمد عمر البنا ، وهو يمتدح عثمان دقنه وأعوانه

ماضرني أن لو حثثت العيس في — أثر الحمول ، وإن علا التأنيب
وزجرت للبكرات دامية الخطا — قد مسها نحو الحبيب لغوب
أوجعتها سيراً فصارت ضمراً — كهلال شك ، يتجلى ويغيب

ثم تسأله هذه العيس إلى أين المسير ؟ ومن تريد — وأنت تذرف الدمع — ؟ فيجيبها بأنه يم الزهادة والتقى ، فمساء يلقى نفحة من سر من زهد الدنيا وطلقها :

(عثمان دقنة) من رقى أوج العلا — بفخاره ، والطاهر المجذوب

ومن الابتداء بذكر الخمر قول الشيخ عبد الله عبد الرحمن يهنيء أحد أصدقائه بزواج :

هات اسقني حلب العصير — حمراء كالخد النضير
وادع الخلاعة والصبا — واهتف بحيَّ على السرور
وأقم (لأحمد) من بيو — ت الشعر أمثال القصور

وهذا ابتداء واضح الدلالة على الصنعة والتقليد ، فالشيخ عبد الله هذا العالم الوقور الذي نشأ في بيت العلم والتقى ، لا يطلب الخمر ، ولا يدعو الخلاعة ، ولا يستطيع أن يشبه الخمر بالخد إلا وهو مأخوذ بما في فكره من شعر القدامى . ثم ما هذه المفارقة العجيبة ؟ دعوة للخلاعة ، وحي على السرور ، ولكن الشيخ — وهو من شعراء السودان المعدودين — لا يجد أنسب لذكر الخمر — التي لم يذقها طبعاً — من تهنئة بزواج ، على أنه يبتدئ مدحة نبوية بذكر الخمر فيقول :

أديري عليَّ الكأس يا ربة الشعر — وجودي بمعسول الرضاب من الثغر
املي بهذي الكأس يا عز أنتشي — فاسمو بادراكي إلى العالم الشعري

وأنا — في الحقيقة — حائر في هذه الكأس ، أي شيء فيها ؟ أهو خمر ؟ أم شعر ؟ أم رضاب عزة ؟

وكقوله في مطلع قصيدة ألقاها في حفلة الميلاد النبوي :

أدرها بعيد نومات المشى — كميت اللون كالخد الوضي
مشعشعة بماء المزن رقت — كما رقت شمائل أريحي
حوالها نواعم آنسات — نواعس ، ذات لحظ بابلي

وعلى ذكر الابتداء بالخمر أقول إن وصف الخمر ليس غرضاً أساسياً في الشعر السوداني ، وإن كنا نجد بعض الشعراء يتسلى بها ، كما يقول الشاعر صالح عبد القادر .

اسكب الراح ، وناول من طلب — وأدر كأسك ، فالدنيا طرب
واسقنيها بنت كرم عتقت — تطرد الهم ، وتشفي من تعب
يا رفاق لا تلوموني على — حبها ، فالعيش في بنت العنب
ما علينا أن شربناها وقد — كتب الله علينا ما كتب

أما الابتداء بالغزل ، فهو — كما قلت آنفاً — اللازمة التي لا تنفك لكثير من القصائد ، ومن ذلك قول الشيخ عمر الأزهري يمدح صاحب مجلة الجوائب حيث يقول في أولها :

سلوا عن فؤادي مسبلات الذوائب — فقد ضاع من بين القلوب الذوائب
فلا سلمت نفس من الحب قد خلت — ولا كان جفن دمعه غير ساكب
سباه مهجتي لدن المعاطف أهيف — له لفتات دونها كل ضارب
ولا عيب فيه غير أن جفونه — بنتها على كسر جميع المذاهب

وهذا شعر جيد ، لولا ما ذكر فيه من هذا الاصطلاح النحوي ، وإن كان ذلك يعد ملحة ملفتة ، وهكذا يمضي في غزله حتى يقول متخلصاً . .

وحي له لم يخف في الكون أمره — كحب العلا مصباح أفق الجوائب

ولا نعدم في هذه الناحية من يسن سنة أخرى أيضاً ،

(حيــــاة) بلابسى

للأستاذ نجاتى صدقي

عثر رجال الهلال الأحمر ، بعد مجزرة دير ياسين على جثة فتاة فى قميص النوم ، ملقاة بالقرب من طريق فرعية مؤدية إلى القرية ، فتعرف عليها بعضهم فإذا هى المعلمة حياة بلابسى .

عرفتها فى أواخر سنة ١٩٤٧ وقت أن قدمت للاذاعة موضوعاً أدبياً أرفقته بكتاب تقول فيه : « أرجو أن أتمكن من إذاعة حديثى هذا فى أقرب فرصة ممكنة » .

وبعد أيام من ورود هذا الحديث قابلت أحد قضاة القدس فذكرنى (بحياة) وأوصانى بها خيراً ... ثم قابلت أحد مفتشى معارف فلسطين فنبهنى إلى حديث (حياة) وضرورة الاعتناء به ... ثم قابلت أحد أدباء القدس فقال لى : ألا تهتم بحياة وأحاديثها فهى فتاة تحتاج إلى مساعدة وتشجيع ... ثم قابلت مديرة مدرسة فى يافا فسألتنى إذا كنت قد تلقيت حديثاً من (حياة) واستفسرت عن مدى استعدادى لمساعدتها .

فساءلت نفسى : من تكون حياة بلابسى هذه ؟ .. وما الداعى إلى كل هذا الاهتمام بها ؟ .. وأخذت أرقب الفرصة لمقابلتها والتعرف إليها عن كثب .

وفى عصر أحد أيام يناير من هذه السنة ، وكان الثلج يتساقط بكثرة فى القدس ، والرياح الباردة العاتية تعصف بشدة ، دخلت على حياة وقد تدثرت بمعطف بسيط ، ولفت رأسها بمنديل من الصوف وقد رصع بقطع صغيرة من الثلج ، فظهرت وكأنها إكليل من زهر الليمون ، رمز العفة والطهارة ، يطوق رأسها الجميل .

وفى هذه المقابلة عرفت منها مأساتها :

لقد فقدت أباها منذ أمد غير بعيد ، ووالدتها كسيحة طريحة الفراش ، وأختها صغيرة غير قادرة على العمل ، فوقع على عاتقها عبء الاعتناء بوالدتها وأختها ، والقيام بجميع شؤون البيت ، والعمل فى الوقت ذاته على كسب المعاش إذ لا مورد لأسرتها تمتاش منه ، كما أن والدها لم يترك أى مبلغ من المال ، أو أى نوع من العقار .

وهكذا رأت نفسها مضطرة إلى ترك المدرسة قبل أن تحصل على شهادة (المتريك) ، وأن تسعى إلى العمل كمعلمة إضافية فى مدرسة ابتدائية ، فقيل لها فى دائرة المعارف : ليس بوسعنا أن نجد لك مكاناً شاغراً فى القدس لكننا نحتاج إلى معلمة إضافية لقرية دير ياسين ، فقبلت حياة العمل لقاء راتب شهرى قدره ثمانية جنيهات .

وقرية دير ياسين تقع إلى الغرب من القدس وعلى بعد عشرة كيلومترات منها ، وطرق المواصلات إليها غير متوفرة ، فكانت

فيبتدئ شعره بإنكار الغزل ، كقول الشاعر عبد الرحمن شوق يمدح سيادة الحسيب النسيب السيد على الميرغنى .

وقفت ولم أنسب ولم أتغزل ... ولم أشك حالى فى الهوى وتذللى [1]
ولم أبك دارا قد عفت وتغيرت ... وصحبا كراماً بت عنهم بمعزل
ومثلى إذا جن الظلام رأيته ... يقوم قيام الناسك المتبتل
يقولون حب الغيد تيم قلبه ... وما حب ربات الخبا عنك مشغلى
وما فى فؤادى موضع لمحبة ... لغيرك حتى قال ذلك عذلى

على أنى سأوفى هذا المعنى حقه عند الحديث عن الغزل ، وإن كنت أبادر فأقول : إن جريان الغزل على ألسنة كثير من هؤلاء الشعراء ، وخاصة أولئك العلماء الأعلام ، من أمثال شيخ علماء السودان سابقاً الشيخ أبو القاسم أحمد هاشم ، والشيخ عمر الأزهرى ، والشيخ البنا وغيرهم ، أقول إن هذا مما لا يدع شكا فى سلطان التقليد على الشعراء .

ولست أريد من هذا أن أحط من قيمة الشعر السودانى ، ولكنى أقصد أن السمة الغالبة عليه فى هذه الحقبة سمة الاحتذاء والمتابعة ، والتقليد فيه خير كثير ، وفيه كذلك شر كثير . وإن فى هذا الشعر لوثبات طيبة ، وملامح مشرقة ، سنكشف عنها فى أثناء هذا الحديث ، كما أن سير الشعراء فى ركاب القدامى جعلهم يبعدون بأشعارهم عن تصوير الأحداث السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، ولم يجعل لوصف الطبيعة السودانية الحلابة مكانها البارز فى أشعارهم .

(للحديث بقايا)

على العمارى
مبعوث الأزهر إلى المعهد العلمى بأم درمان

(١) (الرسالة) تنظر هذه القصيدة نظرة إعجاب إلى قصيدة حافظ فى مدح الشيخ محمد عبده ومطلعها :

مدحتك لم أنسب ولم أتغزل ... ولما أقف بين الهوى والتذلل

٣١ ٥ ١٠

حياة تضطر للذهاب إليها والعودة منها سيراً على قدميها ، فتترك القدس فى الساعة السادسة صباحاً مجتازة فى طريقها بعض أحياء القدس اليهودية وهى ميا شعاريم ، وبيت إسرائيل ، ومحنا يهوداً ، وروميما ... ثم تمر بواد وعر إلى أن تصل مستعمرة بيت ها كيرم ، ومن ثم تتجه رأساً إلى دير ياسين .

هذا هو طريق الآلام الذى كانت تعبره حياة مرتين فى اليوم صيفاً وشتاء .

وهى مع أنها صبية جريئة كانت تشعر أحياناً برهبة عند مرورها فى الوادى ، فتخشى أمراً لا تعرف كنهه ... فتنتظر بعض الوقت إلى أن تمر بها القرويات الذاهبات إلى القرية أو العائدات منها فترافقهن ... إلا أن هذه الخشية أخذت تتلاشى قليلاً فقليلاً ، وصارت حياة تعبر الوادى بمفردها محيية الحراثين والرعاة ، فيجيبونها محيين مرحبين ، مستفسرين منها عن أولادهم ومقدار تقدمهم ونجاحهم فى دروسهم ، سائلين الله أن يكلأها بعين عنايته ورعايته .

ولم تحصر حياة عملها فى القرية على التعليم وإنما كانت تعمل فى فترات من النهار ممرضة أيضاً ، فتمد من هو بحاجة إلى الإسعاف الأولى بمختلف الأدوية ، وتعود المرضى فى أكواخهم ، وإذا رأت أن فيهم من تتطلب حالته دخوله المستشفى اتصلت على الفور بدائرة الصحة فى القدس تلفونياً ، أو ذهبت بنفسها إلى تلك الدائرة عند عودتها إلى بيتها .

وما إن أتمت حياة السنة الأولى من عملها فى دير ياسين حتى غدت معبودة سكانها يترادف اسمها مع التربية والطهارة والوطنية الصحيحة .

وفى ذات يوم عادت الفتاة إلى القدس فوجدت أمها قد فارقت الحياة ، فتحملت الصدمة بقلب قوى ، ولم تنهزم أمام صروف الدهر القاسية وثابرت على عملها فى دير ياسين بما طبعت عليه من عزيمة وثبات ، لحمل ذلك دائرة المعارف على أن تزيد راتبها الشهرى جنيهين آخرين .

وأعلنت هيئة الأمم المتحدة تحقيق ما حلم به هرتزل سنة ١٨٩٥ فى كتاب (الدولة اليهودية) ، فهب العرب يدافعون عن أراضيهم ومواطن معيشتهم ، وانتصب ملاك الموت والحصد فى يده يجنى الرؤس آحاداً ، ثم عشرات ، ثم مئات ... وكان على حياة أن تختار أحد أمرين : إما أن تقبع فى بيتها تنتظر حظها من الزواج ، وإما أن تسكن دير ياسين لتتابع كفاحها فى سبيل العلم والصحة .

ولم تتردد الفتاة كثيراً لحملت بعض أمتعتها ورحلت إلى القرية ، وسكنت فى غرفة من غرف مدرستها .

وفى هذه الغرفة عانت المعلمة أنواعاً شتى من الحرمان وشظف العيش ... أما الضوء فكان مصباح الزيت ... وأما التدفئة فكان الحرام تلفه على نفسها وهى تراجع الدفاتر ، وتعد الدروس .

وانتشرت الحوادث بسرعة إلى أن شملت دير ياسين أيضاً ... ولما كانت هذه القرية محاطة بأربع مستعمرات يهودية ، خشيت خيانة جيرانها فألفت من فتياتها وفتيانها حامية وكانت حياة من أركانها .

قالت لى ذات يوم : حدث بينما كنت أتدرب على إطلاق النار من البندقية أن أخطأت الهدف وراحت الرصاصة تزغرد فى مستعمرة مجاورة ! . .

ومضت أيام وأسابيع تأزمت فى أثنائها العلائق بين دير ياسين والمستعمرات التى حولها ، ولم يدر القرويون أن القيادة اليهودية قد اختارت قريتهم كبدء مرحلة جديدة فى خططها « العسكرية » .

وعند الساعة الثالثة من صباح يوم قاتم أطبق ألفان من اليهود المسلحين بالبنادق السريعة الطلقات والخناجر ، على سكان القرية النيام ، ونشبت بينهم وبين الحامية معركة لم تدم طويلاً ، فتغلب المعتدون على المناضلين القرويين ، وبدأت المجزرة ! . .

أما حياة فما إن سمعت أزيز الرصاص وانفجار القنابل حتى هبت من فراشها وهى فى قميص النوم ، وهامت على وجهها فى الحقول وبين التلال ... وبعد لحظات وجدت نفسها فى مكان أمين خارج القرية ، وبوسعها الالتجاء إلى قرية عربية أخرى ... إلا أنها سمعت فى هذه الآونة أنيناً بالقرب منها ، فاتجهت إلى مصدره وإذا هى أمام جريحين من حامية دير ياسين ، فتقدمت منهما ، ومزقت جزءاً من قميصها ضمدت به جراحهما ، ثم قر رأيها على أن تضمهما فى مغارة فى تلك الناحية إلى أن تتمكن من إخبار رجال الهلال الأحمر عنهما ، لحملت أحدهما على كتفها وسارت به نحو المغارة ... وبعد مسير عشرة أمتار مزق الجو صوت طلقات سريعة فسقط الجريح قتيلاً ، وسقطت حياة فوقه مضرجة بدمائها .

أما الجريح الثانى فقد قدر له أن يعيش ويروى خاتمة حياة فتاة تذوقت الجهاد فى سبيل العلم ، والأسى فى سبيل العائلة ، والبطولة فى سبيل الوطن ! . .

نجاتى صدقى

الأرواح والأشـــباح

للأستاذ حسين مهدى الغنام

عرف البحث فى الروح والاتصال بها فى العالم الآخر من قديم الأزل ، وقد شغل أعرق الشعوب مدنية فى كل ما مر من العصور والأجيال ، واستوى فى ذلك الوثنيون وأصحاب الأديان .

فحضارة الوثنيين وتراثهم وآثارهم البـاقية صرفت أكبر اهتمامها فى البحث عن الروح وما بعد الموت .

كما ذكرت الأديان جميعاً أن وجود الأرواح بعد الموت حقيقة لا مراء فيها .

وقـد ذكرت التوارة قصة روح صالح اسرائيلى متجسدة رأتها امرأة تهبط من السماء ثم تصعد إليها .

أما القدامى فقد كانت أساليبهم فى التعبير عن وجود الروح أو الاتصال بها ، أساليب بدائية ساذجة ، مما حدا بكثير من المفكرين أن ينسبوه إلى الشعوذة وينكروه .

ولقد اهتم العلم الحديث بالروح وتحضيره والاتصال به بعد الموت ، حتى اتخذ صفة (العلم الحديث) ، وأصبح له أنصار من كبار العلماء والمفكرين .

وبديهى أن يكون الشرقيون أكثر الشعوب اهتماماً بالروح فالشرق مهد الأديان ومهبط الأنبياء ومسرى الملائكة .

وفى مصر جماعات تهتم الآن بهذا (العلم) الحديث ، وفى هذه الجماعات علماء من كبار رجال الدين مثـل الفيلسوف الكبير المرحوم الشيخ طنطاوى جوهرى .

ومن هؤلاء العلماء رجل متحمس لهذا العلم كل التحمس ، مؤمن به إيماناً عظيماً ، هو الأستاذ أحمد فهمى أبو الخير .

وقد كذبه كثيرون من المتشككين ، وانبروا يتحدونه ، وهو يصمد لهم ويقبل تحديهم .

وفى الواقع أن هذا العلم يثير الحيرة .

ولو كان الأمر يقتصر على الشرقيين لقلنا إنها شعوب روحية خيالية ، يجد هذا العلم بينها مجالا طبيعياً ، ولكن العجب والحيرة يأتيان من ناحية الغربيين ، وهم قوم ما دون يتشككون فى كل شىء ، ولا يؤمنون إلا بالمادة وحدها …

كان اهتمام الغربيين فى الماضى بالبحث فى الروح يكاد يكون محصوراً فى طبقة معينة ، وكان بحثهم فيها يتخذ صورة الاختراع والخيال ، أو ينظرون إليها نظرتنا إلى ما نسميه (العفاريت) !

وكان معظم هذه الفئة أدباء يجنحون إلى الخيال فى كتاباتهم وكان أغلبها يتخذ صبغة القصة ، ومن هذا النوع عاصفة شيكسبير ، وبعض قصص تشارلز ديكنز ، وإدجار آلن بو ، وأسكار وايلد ، حتى جاء السير آرثر كونان دويل فجمل من هـذا اللون من الكتابة فنا ، أضفى عليه رداء جديداً …

ثم ازداد اهتمام الغربيين به فى السنوات الأخيرة ، فاتخذ منه العلماء علما ، حتى تقرر تدريسه فى بعض الجامعات ، واتخذ منه الكتاب والباحثون فناً …

إلا أن العجيب حقاً أن يكون من هؤلاء الأخيرين صحافيون معروفون يعالجون مواضيعه بأدلة وبراهين لا تترك مجالا للشك فى صدق وقوعه …

ومن هؤلاء الصحافيين الكاتب الانجليزى الكبير هانن سوافر ، وإلى وود ، وا .ل . لويد ، وموريس باربانل ، وتريفور آلن ، وغيرهم كثيرون .

كما أن للورد هاليفكس كتاباً عن الأشباح نشره حديثاً ولم نطلع عليه ، ولكنا قرأنا عنه وطالعنا قصة منه منشورة فى إحدى المجلات الانجليزية …

لو كان هؤلاء الصحافيون أدباء لقلنا إن ما يكتبونه خيال أدباء ، ولكنهم صحافيون لا يؤمنون إلا بالملموس الذى يرونه بأنفسهم ، ولا يجرون وراء خيال الأدباء .

ومن هذه المقالات التى كتبها حديثاً بعض هؤلاء الصحافيين عن وجود الأرواح وتحضيرها ، جعلنا مادة هذا الحديث ، لأنها تأتى من أوائل الماديين فى أوربا …

***

إن المطلع على الآداب الغربية يطالع عشرات من القصص التى تدور حول وجود الأرواح والأشباح فى كثير من الأماكن المهجورة والأثرية .

وقد ذكر لزلى وود أن بعض الأشباح سكنت فى (الاستوديوات ودور السينما)، بل أن بعضها ظهر فى شريط سينمائى ...

وذكر شاهد عيان فى استكهولم، عاصمة السويد، قصصاً عن أرشية يظهر فيها شبح سيدة عجوز فى ملابس خضراء تسير بين الأبواب المغلقة، وثلاث سيدات فى ملابس من الطراز القديم يجلسن على كنبة يحكن بعض الثياب، وإذا جلست على مقعد معين من الصخر هناك دفعت إلى الوراء. وقد شهد بشكل هذه الأقاصيص خمسة من القسس.

أما تريفور آلن، المؤلف والصحافى المشهور، فقد بدأ كلامه بقوله إن الأشباح التى يحبها هى الأشباح التى يستطيع التحدث إليها، وقد وقع له ذلك الأتصال بها فعلا.

ثم تحدث عما سمعه من القصص التى رواها له علماء ومهندسون وأثريون لا يكذبون أو يخترعون، فقال: ولنأخذ تل العمارنة، مدينة الفرعون إيخناتون المصرى، فقد قابلت منذ بضع سنوات أثرياً شاباً، هو رالف ليفرز، وكان ينقب عن الآثار القديمة هناك فى بعثة جمعية التنقيب المصرية. ولم يكن هذا المهندس المادى يعتقد فيما يسمع عن لعنة توت عنخ أمون. ولكنه ذكر لى أشياء غريبة كان يسمعها فى الليل بين تلك الآثار، ولم يستطع لها تعليلا، ومنها موسيقا على آلات موسيقية من العهد الفرعونى، توقعها أشباح غريبة فى زى عصر إيخناتون فى القرن الرابع عشر قبل الميلاد.

ولا يمكن أن نشك فى أقوال رجل مثل السير آرثر إيفانز، فقد قابلته عند ما كان ينقب فى قصر مينون، فى كنوسوس بجزيرة كريت، فقد ذكر لى أنه سمع ذات ليلة أصواتاً غريبة، فترك فراشه ونزل إلى انقاض القصر فرأى كثيرين من رواد البلاط ينزلون السلالم وهم يحملون المشاعل ويتكلمون بلسان مينون الذى عفى عليه الزمان، وقد راقبهم نصف ساعة.

ولما كان جورج جيسنج ينقب عن آثار كالاريا القديمة، مرض بالحمى ورأى جنوداً من عهد الامبراطورية الرومانية يمرون أمامه، وقد وصفهم وصفاً دقيقاً جداً.

ولنتحدث عن دير العذراء القديم فى هيرلى على نهر التيمس الذى أنشأه عام ١٠٨٦ جيوفرى دى ماندفل الذى اشترك فى معركة هيستنجس. فقد فرجنى الكولونيل ريفرزمور على هذا المكان، ثم ذكر لى عرضاً فى أثناء حديثه أن شبح زوجة جيوفرى الثانية — لسيلينا — وشبح وليم روفرس وهو مدرع بعتاده الحربى ويمتطى جواداً، سكنا ابهاءه ... وقد وجدت جماجم رهبان فى هذا المكان أثناء التنقيب، بقامات ضخمة، وأقدام صغيرة.

وكان لى صديق طبيب قضى أياماً هناك، فقال إنه رأى فى أحلامه راهباً فى مسوح أسود يحادثه، فى حجرة من حجرات جناح النوم، وقد أشار الراهب إلى المدفأة الحديثة وقال: أزلها من هنا! ثم رأى الطبيب مدفأة قديمة مستديرة جميلة الشكل تحت دعامة كبيرة من البلوط، خلف المدفأة الحديثة ... ولما أخبر الكولونيل ريفرزمور بهذه الحكاية أزال المدفأة الحديثة فوجد القديمة مكانها، كما وصفها الطبيب تماماً!

وكانت هناك ضيفة أخرى، وهى سيدة تهتم بالكتابة الآلية، فتلقت ذات يوم رسالة عن «بئر فارغة» وفيها أشارات أعانتها على رسم خريطة لهذه البئر، وأخبرت أنها تحتوى على مجوهرات وكنوز ثمينة ألقاها فيها أخ ميت. ثم تلقت رسالة أخرى تقول: ابحثى عن خط الصدأ..

وأخبر الكولونيل كذلك بهذه الحكاية الطريفة، فتشكك فيها بادىء الأمر، لأنه لم يكن يظن أن بئراً توجد فى ذلك المكان، ولكنه أخذ فى الحفر، فضرب خيطاً صدئاً تحت الطبقة الأولى، ثم البئر بعد ذلك ... وتابع الحفر، فاكتشف عظاماً وملابس من العصور الوسطى، وأوانى فخارية، ثم تابعوا الحفر أقداماً عديدة — رأيتها بنفسى — ولكنها لم تكن بالقدر الكافى ليكتشفوا الكنوز تحتها ...

ولما كنت أعيش فى هامبتون — على نهر التيمس — كان منزلى بجوار قصر الروائية المعروفة ونفرد جراهام، التى صارت فيما بعد مسز تيودور كورى؛ وكان قصرها هذا، المسمى سانت البانز، والواقع على النهر، مملوكا من قبل لابن السيدة نل جوين، دوق سانت البانز ... ففى الليلة الأولى التى نزل والداها ذلك القصر، كانا يعبران الرجة التى أضاءها القمر، وفجأة سأل الرجل زوجته: ألا ترين شيئاً غريباً على شجرة الجنوليا؟

فأجابته زوجته متعجبة : ماذا ... نعم ... إن هناك رجلا متدلياً منها !

ولما أسرعا في اتجاه الشجرة اختفى ما رأيا ...

وبعد أسبوع ، كان والد الروائية في حفلة رقص بمنزل الكولونيل هارفيلد ، فسأله أحد الأهلين : هل أنت مستر جراهام الذي اشترى قصر سانت الياتز ، ذلك البيت القديم الجميل ، الذي شنق الرجل نفسه على شجرة الجنوليا فيه ؟ فاستفسر الرجل فزعاً ...

وأخبرتني الروائية أنها علمت أن عابر سبيل وقع في ضائقة مالية ، فشنق نفسه على تلك الشجرة ، ويقول الناس أن شبحه يقطن الحديقة .

وذات فجر باكر ، استيقظت مسز جراهام على أصوات غريبة ، ورأت ثلاثة آدميين يتزاحمون على سطح الشرفة ، ويتفرسون في نافذتها . كانوا رجلين مضطربين ، يعينون امرأة تبدو ميتة ، رأسها متدل ، وملابسها وشعرها مبتلة بالماء ، فقفزت من فراشها واتجهت إلى النافذة وهي تصيح : ما هذا ؟ ما خطبكم ؟

ولكنهم اختفوا ...

ولما طلع النهار علمت مسز جراهام أن رجلين وسيدة كانوا في حفلة بجزيرة تاج القريبة منهم ، وقد عادوا إلى سيارتهم بعد انتهاء الحفل ، ولكن السيارة اختلت من قائدها وسقطت في النهر . وكان أحد الرجلين ، وهو توى هام ، سبّاق بروكلاند الشهير في السيارات ، يبذل غاية ما في وسعه لينقذ زوجة صديقه التي غرقت .

ولما رأت مسز جراهام صورته منشورة في إحدى الجرائد عرفت فيها أحد الرجلين اللذين رأتهما في رؤياها . فما القول في هذا ؟ وهذه القصة :

ذهبت خادمة إلى مسز جراهام ذات مرة تقول أنها قابلت سيدة جميلة على السلم ، مرتدية ثوب سهرة مفتوح الصدر ، وتحيط بها أنوار أيدت ما عليها من حلي . ولها نظارات ساحرة حلوة .

وسألتها مسز جراهام إذا كانت خافت تلك السيدة ، فقالت الخادمة : كلا . . . إنهـا كانت جميلة جداً . ولقد أسفت عندما اختفت بسرعة .

واستزادت السيدة خادمتها وصفاً لتلك السيدة الجميلة ، فرأت أن أوصافها تنطبق على السيدة نل جوين — صاحبة القصر الأولى — وعندئذ أسرعت إلى صندوق قديم وأخرجت منه صورة زيتية ، فتعرفت الخادمة في الحال على صاحبة الصورة وصاحت : رباه ... أنها بعينها السيدة الجميلة التي رأيت شبحها ، إنها هي بذاتها !

وكان آل جراهام على صلة وثيقة بكنيسة القرية وراعيها . وذات عشية دعوا القسيس لتناول الشاي عندهم ، فلما توجه إلى قصرهم كان بادي الخوف والجزع يلهث من شدة الاضطراب ، وأخبرهم أنه وهو في طريقه إليهم ، عندما مر بوصية الكنيسة ، سمع ضوضاء وأصواتاً غريبة كأنها أصوات جموع من الخلق تناديه من القبور ليلحق بهم ، فأفزعته تلك الأصوات حتى أنه أطلق لساقيه العنان .

فقالت له الآنسة جراهام : إنها أوهام واضطراب أعصاب ثم قدمت له كأساً من الوسكي القوي مع ماء الصودا .

وكان هذا القسيس شاباً قوياً ، صحيحاً بالغ الصحة ، ولكنه توفى فجأة بعد أسابيع قليلة .

وأما قصور هامبتون ، فإن أروقته مسكونة بأشباح يمكن أن نسميها نجوم الأشباح !

فثلا هناك شبح كاترن هاوارد التي فرت من حجرتها لتماهد هنرى قبل أن يذهب للاعدام في البرج ، وهي تصرخ في يأس بين ممرات القصر فتردد أصداء صياحها .

واللادي جين سيمور ، في ملابسها البيضاء ، تصعد السلالم وتدخل مخادع القصر القديمة ، وهي تحمل شمعة موقدة .

وإن شبحي المفضل الذي أعتز به — لأسباب شخصية — هو شبح السيدة ذات الرداء الرمادي ، وهي السيدة سيبل بن ، مرضعة الأمير إدوارد ، بعد موت جين ... وكانت تلك السيدة تعيش في المخادع التي يقطنها الآن اللورد واللادي بيردوود .

وقد دفنت في كنيسة هامبتون عام ١٥٦٢ تحت جدث من المرمر ، عليه تمثال في حجمها الطبيعي . ويبدو أنها احتفظت

بهدوئها مئات الأعوام حتى أقلقت عظامها فى جدثها ، عند ما رمم عام ١٨٢٩

فلن تحب سيدة لنفسها أن تعامل مثل هذه المعاملة الخالية من الذوق ، ولو كان عمرها ثلاثمائة عام .

ولهذا بدأ شبحها يظهر فى حجراتها القديمة ، حيث يسمع فتيات آل يونسوني وغيرهن — من خلف الجدران — صوت سيدة كأنها تدير آلة غزل قديمة .

وقد رأى جندى (ديدبان) ، ذات ليلة شبح امرأة فى (برنس) رمادى ذى رأس طويل .

ولولا خشيتى أن تحسب أنى أطيل فى القصة ، فإنى أضيف إليها باختصار أن مكتب العمل — لأسباب عرضية — هدم هذه الحائط ووجد حجرة مختفية فيها آلة غزل قديمة ، ولوازم نسوية أخرى . وكان (خشب الأرضية) متآكلا بفعل أقدام من سارت عليه ؟

وقد ذكر أرنست لو ، مؤرخ قصور هامبتون ، شبح السيدة بن ووصفه بأنه : أحسن الأشباح التاريخية الحقة .

وإليك مزيداً من هذا ..

فقد روت اللادى مود — وهى ساكنة حديثة فى ذلك القصر — للآنسة جراهام أن ضيفة من ضيوفها كانت تزورها ، فجلست على منضدة الملابس بحجرة نومها ، فدخلت عليها سيدة طويلة ، نحيفة البدن ، فى ثياب رمادية . وقد ظنت الضيفة أنها رئيسة الخدم ، فقالت لها : هل تتفضلين بإيقاد النور ؟ .

وكان زر الضوء بجانب الباب .

ولكن السيدة لم تجب ، ثم انسلت خارجة فى هدوء ..

وقالت السيدة مود إنه لم يكن هناك سيدة بهذا الوصف فى ذلك الوقت ، ولكنه ينطبق كل الانطباق على السيدة بن .

وقد رأى كفيرون هذا الشبح مراراً ..

ومن هذا القبيل ... إن الفنان أريك فرزر يعيش فى بقعة من ذلك القصر ، بقرية هامبتون . ولعله يعيش فى نفس المكان الذى ماتت به السيدة بن .

وقد خبرتنى السيدة فرزر أن ابنتها الصغيرة ، ولم تكن سنها تزيد على عامين أو ثلاثة أعوام ، ولم تعرف شيئاً مطلقاً عن هذه الأقاصيص ، قالت لأمها عرضاً ذات يوم : مامى ... لقد رأيت سيدة جميلة فى ملابس رمادية . دخلت حجرتى فى الليلة الماضية ، ولم اهتم بدخولها ...

وفى مرات متكررة بعد ذلك ، قالت لها الطفلة . لقد رأيت السيدة الرمادية مرة أخرى .

وهناك حكايات وأقاصيص أخرى عديدة ، تقشعر من ذكرها الأبدان . ولكن القصص التى رويتها هى التى أستطيع الاعتماد عليها لوثوق من مصادرها ، ذكرتها لمن يهتمون بالأرواح والأشباح .

(المقالة بقية) حسين مهدى الغنام

أحمد الكاشف

مات الشاعر الماجد أحمد الكاشف : منذ أيام معدودات ، بعد أن خدم الشعر والأدب ، والسياسة والعروبة نصف قرن أو يزيد .

نشأته وحياته :

ولد بناحية القرشية من أعمال مديرية الغربية . من أبوين تركيين عريقي الجاه ، ووافرى الثراء . رفيعي المنزلة تربطهما بكرام الأسر فى مصر وشائج القربى أو صلات المعرفة ، وعميد أسرة الكاشف بعد الفقيد هو شقيقه محمود بك ذوالفقار الكاشف وكيل الجمعية الزراعية الملكية ومن أقارب الأسرة معالى على باشا الشمسى ، والدكتور حامد باشا محمود .

تلقى الفقيد علومه الأولية فى منزل والده كعادة الأسر الكبيرة . ثم التحق بمدارس طنطا ولكنه لم يتم تعليمه لانصرافه عن العلوم المدرسية إلى كتب الشعر والأدب من جهة ، ولا عتماده على ثراء أسرته من جهة أخرى .

ولم يتزوج الفقيد وعزف منذ صباه عن مباهج الحياة واطمأن إلى العيشة الريفية الهادئة . فترك بيت الأسرة الواسع الرحاب بالقاهرة . وقضى كل عمره ببيته القروى مستغنيا بوجهاء القرية عن كبراء مصر وبصداقة الفلاحين عن مخطالة المتمدينين .

وملأ حب القرية قلبه وشغل فكره حتى قضى حياته معتبراً جميع أهلها أهله ، وشواغلها شواغله ولايمكن أن يهتم أى شخص بأسرته وبيته أكثر مما اهتم الكاشف بالقرشية وأبنائها وكان منزله جامعة شعبية للقرية . وبرلمانا لها . ومحكمة يقضى فيها بين المتخاصمين ، ولا يخلو يوماً من الشيخ الفانى والشاب الفتى ، والفلاح الساذج . والمثقف الفذ — يديره الكاشف بحكمة ولباقة ومرونة تؤلف بين هذه العناصر الشاذة بحيث ينال كل جالس ما يرضيه ويسمع ما يحببه —

أخلاقه :

كان الفقيد متصوف النزعة . وإلى الزهد فى الحياة وزهرتها أميل . إلى إيثار لازم حياته بجملة دائماً بفضل مصلحة غيره على نفسه . فيجود بالضرورى ولا يرد سائلا . ويرحب بالعافين والسائلين ولو كان به خصاصة .

ومن أبرز صفاته التسامح . فلم يحمل قلبه غيظاً لعدو . ولا حقداً لمسىء ، وما كانت تمنعه إساءة أحد عن أن يخلص فى خدمته ، بطبع صاف لا تكلف فيه ، وسماحة نفس لا تحامل عليها . كما كان شديد العطف رقيق الوجدان دائم الوفاء وله فى ذلك قصص لا يتسع المقام لذكرها .

أدبه :

برع فى الشعر السياسى حتى بز جميع شعراء العصر فى هذه الناحية ، ويمتاز شعره بأنه سجل حافل للمسألة الشرقية والقضية المصرية ، وقد ارتفع صيته فى فترتين ، أولاهما أيام الخديوى عباس وثانيتهما إبان الوزارة الأخيرة لمحمد باشا محمود .

كما يمتاز شعره برقة الحاشية والخلو من غريب الألفاظ مع وضوح المعنى ومسايرته لبساطة التفكير .

وقد طبع شعره القديم فى [ديوان الكاشف] ولكن ما بقى من شعره الأخير غير مجموع أكثر وأقوى مما جمع .

واجب :

أليس من حق الراحل الكريم أن يجمع ديوانه . ويبحث ويدرس كفاء ما أسداه للأمة واللغة من خدمات ؟ وهل يجوز فى منطق الوفاء أن يهمل هذا الرجل بعد موته وقد ضحى بماله ومستقبله وأوقاته فى سبيل خدمة اللغة والأمة ؟

يا أصدقاء الكاشف وعارفى فضله ويا أسراء معروفه ويا محسوبى إحسانه ويا رجال الأدب واللغة والصحافة أسألكم بالله ألا تنسوا أحمد الكاشف الذى خدم الأمة واللغة نصف قرن أو يزيد .

عطية الشيخ

يا ثائراً بالنـــــار

للأستاذ حسن الأمين

صمتاً فقد نطق الرصاص وحسبنا ... أن الرصاص إلى القتال ينادى
فى ســـفح « نابلس » لهيب معارك
وعلى جبال « القدس » صوت جهاد
كل يــلوذ بنخوة عربية ... كل يردد صرخة استنجاد
يا ثائراً بالنـار يحمى أرضه ... ويذب عنهـا جاهداً ويفادى
لم يستكن للظالمين ولم يدع ... علجاً يدوس مراقد الأجداد
أنشدتنى لحن الرصاص وربما ... أشجاك فى ليل الوغى إنشادى
قد صغت فيك الشعر حراً ثائراً ... يذكى الجبان ويستهيج الهادى
أرنو إليك فمن لظاك قصائدى ... نظمت ومن قانى دماك مدادى
إن فاتنى بالأمس يومك إننى ... أهفو إليـك بعدتى وعتادى
فلعل لى يوماً بجنبك يرتوى ... فيه من الثارات قلبى الصادى
ولعلنى ألقاك فى رهج الوغى ... ولعلنى أمشى إلى استشهادى
ردد على الأسماع أنغام الظبى ... نارية الترجيـــع والترداد
قل للغفاة عن القتال ألم تروا ... ماذا يراوح «قدسكم» ويغادى
ألموت فى كف اللئام وأنتم ... حولى ولم يهززكم استنجادى
أأرد عن وردى أأقتل صابراً ... بيد اليهود أتستباح بلادى
يا ناعمين على الحرير ومادروا ... أنا ننام على فـــراش قتاد
متلفعين دم المعارك مالنا ... إلا الحصا فى القفر ظهر وساد
نغدو على النيران يذكيها لنا ... غـدر اللئام وخسة الأوغاد
ونبيت لا ندرى أنصبح بعدها ... أم أن عين الموت بالمرصاد
يا ناعمين وما دروا أنا هنا ... لسنا نذوق اليوم طعم رقاد
إخواننا والدهر فرق بيننا ... مـدوا لنا منكم يد الأنجاد
هبوا إلينا بالبنادق بالظبى ... بالمـــال بالأرواح بالاعتاد
لبيك « نابلس » بكل مصابر ... حـــر وكل مغامر ذواد
يفديك إن حمى الوطيس بنفسه ... ويقيك بالأمـوال والأولاد
بالفيلق العربى يمشى صارخاً ... القوم قومى والبـلاد بلادى
أحمى بنيران المدافع حقها ... وأذود عنها بالرصاص العادى
من يستبيح حماى من يسطو على ... حقى ومن يلوى رفيع عمادى ؟

(دمشق) ... حسن الأمين

نشيد « إلى الأمام (*) »

للأستاذ إبراهيم محمد نجا

إلى الأمام ... يا جنود الوطن ... إلى الأمام
على الدوام ... فوق هام الزمن ... على الدوام

تقدمـوا ... يا جنود الفـدا ... طال السكون
وحطموا ... ما بناه العـدا ... من الحصون
وقـدموا ... من بغى واعتدى ... إلى المنون
أنتم حمـــاة البلاد ... إذا دعا داعى الجهاد

إلى الأمام ... يا جنود الوطن ... إلى الأمام
على الدوام ... فوق هام الزمن ... على الدوام

إلى الأمام فى ظلال العـلم ... يا جنـــود
وجـددوا يوم النزال القسم ... والعهـــود
بأن تبيدوا كل باغ ظـــلم ... من الوجـود
وأن يكون الانتصار ... شعاركم . نعم الشعار

إلى الأمام ... يا جنود الوطن ... إلى الأمام
على الدوام ... فوق هام الزمن ... على الدوام

سيروا إلى النصر سـيروا ... فالنصر للعاملين
طيروا إلى المجـــد طيروا ... فالمجـــد للقادرين
والله نعم النصـــير ... والله نعم المعين
ولتهتفـــوا المليـك ... أرواحنـا تفتديك

إلى الأمام ... يا جنود الوطن ... إلى الأمام
على الدوام ... فوق هام الزمن ... على الدوام

(الاسكندرية) ... إبراهيم محمد نجا

(*) هذا النشيد لا تجوز إذاعته إلا بإذن خاص .

الأدب والفن في أسبوع

علماء الدين والفن :

طلب إلى فضيلة شيخ الجامع الأزهر ، الموافقة على استخدام فرق المسرح الشعبي فى الدعاية الدينية ، وذلك بإدخال الموضوعات التى يتناولها الوعاظ في الروايات التى تمثلها هذه الفرق ، فلم يوافق فضيلة الأستاذ الأكبر على ذلك .

قرأت ذلك الخبر فى الصحف ، وقرأت إلى جانبه أن الشيخ محمود أبو العيون لبى دعوة زوجين من ممثلى السينما ، فتناول طعام الإفطار على مائدتهما ، وأرشد الزوجة إلى بعض الأمور الدينية . وقد نشرت مجلة « الاثنين » صوراً لفضيلته معها ، إحداها وهى تنصت لقراءته آيات من القرآن الكريم ، وواحدة وهو يؤمها فى الصلاة ، وثالثة فى الشرفة ينتظران غروب الشمس ، ولم تهمل الممثلة فى أثناء ذلك زينتها وخاصة صبغ شفتيها باللون الأحمر ... وقد حسبت أول ما وقعت عينى على هذه الصور أنها مناظر من فلم جديد ... ثم قرأت فى مجلة « آخر ساعة » بتوقيع « الشيخ عبد العزيز علوان » أنه لقى الشيخ أبو العيون وهو خارج من صالة العرض السينمائية فى وزارة الداخلية ، فقال له : « لقد شاهدت اليوم الفيلم المصرى الأول الذى يستطيع أن يفخر به كل شرقى » وذكر اسم الفلم وبعض أبطاله ...

وهكذا ترى موقف كل من الشيخين الكبيرين من عالم المسرح والسينما ، مخالفاً لموقف الآخر ، ولا بد أن لكل من فضيلتيهما وجهة نظره ، ولكنها على أى حال مفارقة من المفارقات التى لا تخلو من طرافة .

ومفهوم طبعاً أن المنشور فى آخر ساعة بتوقيع الشيخ عبد العزيز علوان ، يقصد منه الإعلان عن الفلم الذى تناول الشيخ أبو العيون طعام الإفطار على مائدة بطله . وهنا شيء طريف ينبغى تسجيله ، وهو استخدام اسم عالم كبير من علماء الأزهر فى الاعلانات السينمائية ... وهو (تقليعة من تقاليع) مصر التى تبذ بها هوليوود !

معهد للدراسات الاجتماعية :

قررت جامعة فاروق الأول بالاسكندرية إنشاء معهد جديد للدراسات الاجتماعية ، يلتحق به الراغبون فى هذه الدراسات من خريجى كليات جامعتى فاروق وفؤاد ، على أن يكون الطالب قد درس فى جامعة أو معهد عال علم الاجتماع أو علم النفس أو التربية أو الاقتصاد الاجتماعى أو الجغرافية البشرية أو الجغرافية الاجتماعية أو أصول القانون . ومدة الدراسة فى المعهد سنتان يحصل الطالب بعدها على شهادة معادلة للماجستير . وستبدأ الدراسة به فى شهر أكتوبر القادم .

وتستبين فكرة المعهد من المذكرة التى وضعها عميد كلية الآداب بجامعة فاروق فى هذا الصدد ، فقد جاء فيها أن مصر فى حاجة إلى جيل جديد من الباحثين الاجتماعيين ، يقوم بدراستها على الإحصاء الدقيق لأنها بلد لا تعرف شئونه الاجتماعية على الوجه الأكمل ، وإن علم الاجتماع هو الذى يستخدم الآن فى تعرف أحوال الجماعات الإنسانية وتطورها الاجتماعى والسياسى ، كما أنه الأساس الذى تعتمد عليه الأمم فى توجيه الإصلاح الاجتماعى . والغرض من إنشاء هذا المعهد هو دراسة العلوم الاجتماعية وتطبيقها بوجه خاص على البحوث العملية المتصلة بمصر والأقاليم المجاورة لها .

والواقع أن الدراسات الاجتماعية قليلة الحظ فى بلادنا ، وخاصة الناحية التطبيقية ، فإذا كان لدينا بضعة علماء فى الاجتماع فإن دراستهم نظرية حصلوا بها على شهادات ودرجات جامعية ، أما المجتمع المصرى ، فهو كما يقول عميد الآداب بالإسكندرية لا تعرف شئونه على الوجه الأكمل . ولا تكاد تجد فى ميدان الكتابة والتأليف مكاناً لدراسة أحوالنا الاجتماعية ولعل ذلك من أسباب ما نراه من عقم المشروعات الاجتماعية التى توضع وتعتمد لها الأموال وتنشأ لها الإدارات وتؤلف لها اللجان ولا يرى لها أحد أثراً فى غير الوظائف ودرجات الموظفين .

اليونسكو ومساعي اليهود :

يبذل اليهود مساعي للحيلولة دون انعقاد مؤتمر اليونسكو في لبنان ، وقد كان من أثر هذه المساعي أن أبدى بعض الأعضاء الغربيين مخاوفهم من الاجتماع في بيروت في الوقت الذي تدور فيه المعارك بين العرب واليهود في فلسطين ، وأبلغت هذه المخاوف إلى الحكومة اللبنانية ، فسارعت إلى طمأنتهم وأكدت لهم أن المؤتمر سينعقد في جو آمن لا يخشى فيه أي ضرر .

ولكن المساعي اليهودية نشطت أكثر من ذلك ، فقد جاء في نشرة الهيئة العربية العليا أن إحدى الدول الأعضاء في اليونسكو أرسلت — بدافع تلك المساعي — مذكرة رسمية إلى المستر هكسلي المدير العام لليونسكو ، ترغب إليه فيها إعادة النظر في موضوع عقد مؤتمر اليونسكو في لبنان ، بسبب الاضطرابات القائمة في فلسطين ، ولأن لبنان يؤلف أحد طرفي النزاع ، وهو في حالة حرب مع اليهود ، ويخشى أن يؤثر موقفه في سير أعمال المؤتمر . وقد رد المستر هكسلي على طلب هذه الدولة بقوله : إن مسألة الأمن في طليعة المسائل التي تراعيها هيئة اليونسكو عند عقد مؤتمراتها ، وهي تستطيع أن تصرح استناداً إلى المعلومات التي لديها أن لبنان لم يعلن الحرب على اليهود في فلسطين ، بل بالعكس ، فهو واقف موقف الدفاع ، وقد حشد جيشه على الحدود ، لا رغبة منه في الغزو أو الفتح ، وإنما للدفاع عن أرضه وتأمين السلام والأمن في ربوعه ؛ على أن إدارة اليونسكو سوف تدرس الحالة في لبنان في ضوء التطورات الجديدة .

ومما يلاحظ أن مؤتمر اليونسكو قد شغل الدول العربية عن عقد المؤتمر الثقافي العربي الثاني في هذا العام ، مع أن هذا أجدى عليها وأدنى إلى الناحية العملية من حيث تنفيذ توصياته . أما اليونسكو فما هي إلا إحدى هيئات الأمم المتحدة (المتحدة ضد العرب فقط) ونحن الآن في حالة توجب علينا ألا نثق في هذه الهيئات ، سياسية كانت أم ثقافية ، أو على الأقل لا نرجو منها خيراً .

إذاعات من باريس عن أدباء العرب :

نشرت الأهرام أن الأستاذ راشد رستم مراقب القسم الأوربي للإذاعة المصرية قرر إذاعة سلسلة من الأحاديث باللغة الفرنسية عن الأدباء والشعراء العرب والمصريين مع ترجمة قصائدهم شعراً ، وعهد بذلك إلى الأديب الفرنسي مسيو جاستون رتيه مراسل جريدة « الفيجارو » الباريزية والذي عاش في مصر طويلا . وقد شملت أول سلسلة من هذه الأحاديث إذاعات عن أحمد شوقي وخليل مطران وحافظ ابراهيم وابن الرومي وأبي تمام وأبي نواس وعباس محمود العقاد وعبد الرحمن صدقي وأحمد رامي وشعر الفروسية عند العرب وما نقله منه واصف غالي باشا . وستذاع هذه الأحاديث قريباً من محطة إذاعة باريس ، وسيعقبها أحاديث عن الناثرين والقصصيين .

ويمكن أن نفهم تكليف الأديب الفرنسي مسيو جاستون بإعداد هذا البرنامج على أنه مشرف على تنظيمه ويعاونه فيه أدباء مصريون . وإلا فكيف يدرس ابن الرومي وأبا تمام وأبا نواس ؟ وأنى له القدرة على ترجمة أشعارهم ؟

مؤتمر المستشرقين :

جاء من باريس أن المؤتمر الدولي للمستشرقين عقد جلسته الافتتاحية بالمعهد الوطني للعلوم السياسية في يوم ٢٤ يولية الحالي وقد شهد الجلسة ممثلون لجميع البلاد التي تهتم بدرس حضارة الشرق الأدنى وتاريخه ، وفي مقدمتهم مندوبو مصر برياسة أحمد ثروت بك سفيرها في فرنسا ، ومندوبو الباكستان والهندستان وتركيا والنمسا ولبنان . وسيوالي المؤتمر أعماله في عشر لجان أولها لجنة الدراسات المصرية .

وقد تكلم في هذه الجلسة الدكتور طه حسين بك فقال إنه يحمل إلى المندوبين الفرنسيين وإلى سائر أعضاء المؤتمر تحية مجمع فؤاد الأول للغة العربية وتحية مصر كلها التي يسرها أن تشترك في مؤتمر تمده جوهرياً بالنسبة إليها ، لأن الدور الذي قامت وستقوم به في الثقافة الشرقية وفي أبحاث المستشرقين يقضي عليها بأن تشترك في كل اجتماع من هذا النوع . ثم قال : يسرني أن أنتهز هذه الفرصة لأعلن شكري وشكر جيل كامل من المصريين جيل المهتمين باللغة العربية والآثار المصرية للمستشرقين الفرنسيين وغيرهم من المهتمين بتلك اللغة وهذه الآثار . فما من مصري يعنى بالشئون الشرقية لا يشعر بأنه مدين بأمور كثيرة للمهمة العظيمة

التي قام بها المستشرقون سواء هناك في القاهرة أو هنا في باريس لقد كنا جيماً من تلامذة المستشرقين الفرنسيين ، فسمعنا دروسهم على ضفاف النيل ، وعلى ضفاف السين ، في مختلف الجامعات الفرنسية . فإذا أعربت لكم عن شكر أبناء الجيل الذين تجاوزوا سن الشباب الآن ، والذين أمثلهم أناهنا ، فإني أعرب لكم عما نشعر به شعوراً عميقاً ، وأقوم بواجب أعده واجب الأبناء نحو الآباء .

من طرف المجالس :

قال أحد الأصحاب إنه من سلالة على بن أبي طالب ، وسلسلة النسب بين على وعدنان معروفة ، وهو يريد أن يبحث عمن بين عدنان وآدم ، لتتم له معرفة سلسلة نسبه إلى آدم .

فانبرى له صاحب آخر قائلا :

أتريد أن تثبت أنك من بني آدم !

على طريقة طه حسين :

بدا لي أن أكتب في هذا الموضوع الذي تستطيع أن تقول إنه ليس موضوعاً ، وإنما هو بحث عن موضوع . وسواء اتفقنا على أنه موضوع أو أنه غير موضوع أم لم نتفق على شيء من ذلك فالأمر الذي لا شك فيه أني دفعت إلى الكتابة فيه دفعاً وحملت عليه حملا . فأنا أريد أن أملأ هذه الصفحات الثلاث التي أملؤها كل أسبوع ، والمطبعة تريد أن تملأها أيضاً ، والقراء ينتظرون أن يقرؤوها أو بعبارة أخرى يريدون أن يملؤوا هم أيضاً فراغهم بقراءتها .

كتبت من هذه الصفحات الثلاث ما كتبت ، ثم رجعت إلى ما كتبت ، وقسته إلى ما تعودت أن أكتب كل أسبوع ، فوجدته أقل منه بحيث لا يسد الفراغ ، ولم أجد عندى ما أكتبه ، أو قل لم أجد أدباً ولا فناً ولا شيئاً يصح أن يقال عنه إنه أدب أو فن أو شبيه بالأدب والفن من قريب أو من بعيد .

هذه الصحف وهذه المجلات ، يومية وأسبوعية وشهرية ، يحررها محرروها ويكتبها كاتبوها في هذا الحر الشديد ، لأنها لا تتوقف عن الصدور في الصيف كما لا تتوقف عن الصدور في الشتاء . تقرأ هذه الصحف وهذه المجلات حين يصبح الصباح ، وحين يرتفع الضحى ، وحين يقبل المساء ، فلا ترى فيها أدباً أو فناً أو شيئاً من قبيل الأدب والفن يترك في نفسك أثراً أو صدى بعد قراءته ، ويظل عقلك فارغاً من هذا الأثر وهذا الصدى كما كان قبل هذه القراءة .

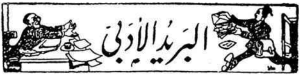
وهذه القاهرة تكاد تخلو أنديتها وهيئاتها الثقافية الرسمية وغير الرسمية ، تكاد تخلو من كل نشاط أدبي أو ثقافي في هذا الصيف كما تعودنا أن نراها كل صيف .

قلت لصاحبي : ماذا أصنع في هذا الموضوع ؟ فقال في شيء من الإنكار : وهل هو موضوع ؟ فلم أجد مناصاً ولا مفراً ولا بدا من أن أتمثل بهذا البيت الذي طالما تمثلت به قبل الآن وسأتمثل به في كل آن :

أيتها النفس أجملي جزعاً إن الذي تحذرين قد وقعا

وأكبر الظن أن أوس بن حجر حينما قال هذا البيت في رثاء فضالة الأسدي لم يكن يخطر له على بال ولم يكن يدور له في خلد أنني سأتمثل به حينما أقع في أزمة الأدب والفن في هذا الأسبوع

العباسي



حول لفظة « العتيد » :

بينا كنت أستمتع بقراءة المقال الشيق الذي كتبه الجهبذ الكاتب الشيخ محمد رجب البيومي في العدد ٧٧٣ من الرسالة الغراء إذ لفت نظري وأسر انتباهي في ثنايا المقال لفظة (عتيدة) التي جاءت وصفاً في قوله : (ويقود أركاناً (عتيدة) يراها غير صالحة للبقاء !) وقد كان معناها (القدم) كما يريد كاتب المقال في هذا المقال . وكتب اللغة التي رجعت إليها المختار ، المصباح ، المحيط لم تذكر أن لفظة (العتيد) معناها (القدم) وإنما الذي أفصحت عنه إنما هو لمعنى (العتيد) — بدون هاء[1] — الحاضر المهيأ ، كما في قوله تعالى : — (وأعتدت لهن متكأ ...[2]) وفي قوله تعالى : — (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد[3]) .

وأما المعنى المراد الذي لم تؤده هـذه اللفظة في هذه المقالة والذي هو (القدم) كما هو مفهوم من المقام فإنما تكون تأديته بألفاظ أخر ليس من بينها (العتيدة) هذه في هذه المقالة ، الأوهى : العتيق والقديم والعهيد — بالهاء بدل التاء — واللفظة الأولى جاءت في قوله تعالى : (ثم محلها إلى البيت العتيق[4]) ، وأما الآخرة فقد نطق بها مرتين في بيت واحد المرحوم شاعر النيل حافظ إبراهيم بك في استقبال السير غورست[5] : —

وفي الشورى بنا داء «عهيد» قد استعصى على الطب العهيد

وهذا ما يحضرني الآن من الألفاظ الدالة على معنى (القدم) ولا أقول هذا كل ما في اللغة في هذا المعنى إذ ربما يطلع علينا بألفاظ أخر من المراجع اللغوية (الرقيب العتيد) الأستاذ عدنان وذلك ما كنا نبغي .

وللأستاذ صاحب المقال إكباري وتقديري وللأديب عدنان تحيتي وللرسالة اللامعة تجلتي .

(طرابلس الغرب) **محمد مهدي أبو حامد**

كلية أحمد باشا

(١) وأما التي بالهاء فمعناها الطبلة أو الحقة فيها طيب الرجل والعروس
(٢) سورة يوسف الآية ٣١ (٣) سورة ق الآية ١٨
(٤) سورة الحج الآية ٣٣ (٥) السياسيات ديوان حافظ ج ثاني

في ميدان الاجتهاد :

أخرجت جمعية الثقافة الإسلامية بحلوان كتاب في ميدان الاجتهاد للأستاذ عبد المتعال الصعيدي ، وهو معروف لقراء الرسالة بآرائه الحرة المتزنة في كل ما يكتبه في الأدب والعلم ، وبميله إلى التجديد في العلوم على اختلاف أنواعها ، حتى تخلع ثوبها القديم البالي ، وتلبس ثوباً جديداً يجدد عقلية المسلمين ، ويقضي على عهد الجمود ، ويعيد عهد الاجتهاد ، وهم في حاجة إلى تلك الصيحات الإصلاحية الشديدة التي انقضت بموت جمال الدين الأفغاني ، والأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ، لتنبههم من غفلتهم التي عادوا إلى الاستنامة إليها ، بعد أن نبهتهم بعض التنبه صيحات هذين الإمامين .

وكتاب في ميدان الاجتهاد صيحة من تلك الصيحات التي طال عهد المسلمين بها ، بعد أن كانوا يهزون بها هزاً عنيفاً في عهد ذلك الحكيم وتلميذه ؛ فتحيي ما مات من آمالهم ، وتفتح باب الرجاء في مستقبل ناهض ، يعيد لهم سابق عزمهم ، ويسترد لهم جلال ماضيهم ، فيعيشون في هذا العصر كما يجب أن يعيشوا فيه ، ليشاركوا أهله بأرواحهم كما يشاركونهم بأجسامهم ، ولا يشاركوهم بأجسامهم دون أرواحهم ، فيتخلفوا عن ركب الحياة ، ويدركهم ما أدرك المتخلفين من الأمم الماضية — لا قدر الله .

لقد عالج ذلك الكتاب كثيراً من المسائل الشائكة في الإسلام ، فأتى فيها بالعلاج الصالح ، وحل مشاكلها بالرأي القاطع ، لأن صاحبه قد درس دينه دراسة صحيحة ، وخلص نفسه من قيود التقليد والجمود التي تحول دون الوصول إلى الحقيقة ، وجمع إلى هذا إخلاصه لدينه ، وحبه له حباً يملك عليه نفسه ، فجمع بهذا كله أسباب الرأي الصحيح ، والاجتهاد المتزن .

وهذا بعد أن مهد بدرس نافع في الاجتهاد ، وأتى فيه بتوجيه جديد لم يسبق إليه ، يجمع بين الفرق الإسلامية التي باعدت بينها أصول الاجتهاد القديمة ، ويوجهها لوضع فقه جديد يمثل البيئات الإسلامية كلها ، فيسع المسلمين جميعهم ، ولا يمثل بيئة دون أخرى من بيئاتهم ، وهذا توجيه له خطره في الإسلام ، وله حسن أثره في المسلمين . (ع)

يطلب من إدارة الرسالة وثمنه ٦ قروش وللبريد ١٥ مليماً



من حديث الشعر والنثر

حملتنى الظروف الراهنة على أن أقف من هذا الكتاب موقف الدارس الناقد ، وقد وقفت منه فيما مضى موقف القارئ المستوعب وكان اختلاف الاتجاه فى الحالين لاختلاف البواعث التى حدت بى إلى قراءة الكتاب .

قرأته فيما مضى لأستفيد من معارفه إثر ظهوره ، وها أنذا أقرؤه مع طلابى بمدارس السودان ، لأبصرهم بما اشتمل عليه من آراء قيمة وبحوث طريفة لست فى كثير منها الدليل الناصح والنهج القويم . غير أنى وقفت — واستوقفنى طلابى — عند بعض الآراء فلم أجد لها دليلا من معقول أو منقول يشفى الغلة ويحمل على التصديق وسأعرض لبعض منها بالدراسة عل فيها شيئاً من الهداية للطلبة الدارسين .

١ — قتل ابن المقفع :

يعتقد المؤلف بأن إيمان ابن المقفع لم يكن صحيحاً فهو يقول « ولكن إيمانه لم يكن فيما يظهر صحيحاً ولا خالصاً لله فقد كتب فى الزندقة كتباً كثيرة اضطر بعض المسلمين أن يرد عليها فى أيام المأمون ... »

يعتقد هذا الاعتقاد ثم ينفى أن تكون الزندقة هى التى قتلته دون أن يلتمس لذلك دليلا فلم يزد على أن قال : « أما أنا فأرجح جداً أن الذى قتل ابن المقفع ليست الزندقة ... » ونحن لا نجهل أن كثيراً من الباحثين قد دافعوا عن إيمان ابن المقفع إكباراً للرجل وضنا بمثله أن يعود إلى الزندقة وقد من الله عليه بالإسلام وحقّ لهم وقد حاولوا إبطال هذه التهمة بالدلائل أن يبطلوا ما ترتب عليها من قول القائلين : إن الزندقة هى التى قتلته .

أما الدكتور فيثبت الزندقة ثم ينفى أن يكون القتل بسببها كأنها الأمر الهين الذى لا يستوجب قتلا ولا يستدعى حساباً مع أننا نعلم أن الزندقة فى العصر العباسى قد امتحن بها طائفة من المفكرين والأدباء ولم يمنهم حين نزل بهم بلاء الحاكم أقدارهم ولا علمهم وربما قتل بعضهم زورا وعدوانا للشبهة الباطلة التى زيفها الحساد الناقمون .

والمؤلف ينفى كذلك أن يكون العهد الذى كتبه لعبد الله بن على عم أبى جعفر المنصور هو الذى قتله فيقول : « ولم يقتله تشدده فى الأمان الذى كتبه لعبد الله بن على لأنه يوشك أن يكون أسطورة ليس لدينا منها نص » .

وأعتقد أن نعت العهد بالبطلان — لأنه لم يصل إلينا — حجة لا تنهض على أساس فكم من عهود أضاعها الزمن ، وكم من كتب عفى عليها القدم وبقيت لنا أخبارها فيما بقى من أخبار السابقين ، وإذا كان هناك أثر جدير بالضياع فهذا الأثر الذى يعارض مشيئة الحاكم ويقيده بقيود قاسية لا يرتضيها لنفسه ومنها طلاق النساء وتحرير العبيد إذا ما نقض العهد :

على أننا إذا التمسنا سبب القتل فيما كتب الدكتور وجدناه سببا لم يشر إليه نص من التاريخ ولم يقل به من كان فى عهد ابن المقفع أو بعده بقليل وهو إلى جانب هذا تلمس لأشياء لم نجد لها قوة السببين السابقين : فهو يقول : إن رسالة الصحابة هى التى قتلته ويسرد منها ما يراه مثيرا لحفيظة الخليفة ومشجعا له على قتل الرجل .

لست أفهم أن تزلف الكاتب إلى الخليفة بنصيحة من النصائح بعد أن يمهد لها بالثناء المستطاب مما يدعو إلى الانتقام والقتل .

ولست أفهم أن إشارته عليه بأن يكرم جند خراسان والعراق وأن يأخذ الحيطة من جند الشام مما يريب الخليفة فى أمره إلى الحد الذى يدفعه إلى الفتك به .

ولست أعتقد كذلك أن اقتراحا يتقدم به كاتب فيبسط فيه اختلاف القضاة فى الأمر الواحد ثم يرجو أن يكون البت فى مثل هذا لولى الأمر مما يكون له كبير أثر فى نفوس الحاكمين .

وما جريرة ابن المقفع حين يتوسل إلى الخليفة طالبا «أن يعين فى الأمصار جماعة من الخاصة يكون أمرهم تأديب العامة ومراقبة أعمالهم فإن العامة لا تصلح بنفسها إلا إذا وجدت مؤدبين من

الخاصة والخاصة لا تستطيع أن تعيش إلا إذا كان لها من الإمام مؤدب » ؟

وأى ثورة أرادها – كما يقول الدكتور – وهو فى هذه الرسالة ناصح متودد يرجو أن يبسط الخليفة سلطانه فى كل أمر وتنفذ مشيئته فى كل عمل ؟ !

والحق الذى لا شك فيه أن هذه الآراء وأشباهها ليس لها من جلال الخطر ما يرفعها فوق الزندقة أو يحلها فوق مكانة العهد الذى قيد فيه الخليفة بقيود قاسية ما كان أغناه عنها .

٢ – *بين الكتابة والشعر* :

ويرى الدكتور فيما يرى أن الكتابة تختلف عن الشعر والخطابة من حيث فهم الناس لها فالناس عنده متساوون فى فهم الكتابة وفى التأثر بها ولكنهم متفاوتون أما الشعر والخطابة فهو يقول : « ونحن عندما نقرأ عبد الحميد أو ابن المقفع لا نجد عندهما اللذة الفنية إذا كنا فى طبقة واحدة أو اشتركنا فى ثقافة واحدة وإنما يقرؤهما منا ذوو الثقافة العالية والساذجة والمتوسطة والبسيطة وكلنا يجد لذة ومتعة فنية . بينما تختلف لذتنا فى قراءة الشعر باختلاف حظوظنا من الثقافة . فليس كل الناس يقرأ جريرا والفرزدق أو يتذوق زيادا والحجاج ... »

وأعتقد أن الواقع يخالف هذه القاعدة التى وضعها الدكتور ؛ فأ كثر الشعر أوضح فى معناه وأبين فى فحواه من الكتابة وبخاصة فى العهد الذى يتحدث عنه المؤلف ؛ فكثير من الناس يفهمون كثيراً من شعر جرير ولكنهم لا يفهمون قليلا ولا كثيراً من المقال الذى ساقه الدكتور لعبد الحميد وقد جاء فيه فى وصف الرماح : « معاقص عقدها منحوتة ووصم أودها مقوم ، أجناسها مختلفة وكعوبها جعدة وعقدها حنكة شطبة الأسنان محكة الجلاء ... »

أما الخطابة فالقاعدة المطردة فيها أن تكون أسهل من النوعين ليفهمها السامعون فى يسر ويدركوا ماجاء بها فى سرعة وإلا ضاعت قيمتها وذهب الغرض من إلقائها .

على أنى اتهمت معرفتى أمام هذه الحقائق فعرضت على الطلاب طائفة من شعر جرير وتلوت شيئاً من خطبة زياد البتراء فوجدتهم مقبلين متأثرين ثم أقبلنا على الكتاب نقرأ ما جاء فيه من رسالة عبد الحميد فرأيتهم أقل تأثراً وفهما .

٣ – *فى كتابة عبد الحميد* :

ساق المؤلف أدلة ثلاثة حاول فيها أن يثبت أن عبد الحميد الكاتب متأثر بثقافة اليونان وكتابتهم ولست أريد أن أبطل هذا الرأى أو أثبته ولكنى أقول : إننى لم أجد فى هذه الأدلة – أو على الأقل فى اثنين منها – نصاعة أو قوة تحمل على الإقناع :

فأما أحد الدليلين فهو ما ذكره الدكتور حين قال : « وعندى فى هذه الرسالة نص بسيط يدلنى على أن عبد الحميد كان فى هذه الرسالة متأثر إلا باليونانية وحدها بل بما كان مألوفا عند اليونان فهو يقول فى نصحه لولى العهد ، ثم ول على كل مائة رجل منهم رجلا من أهل خاصتك وثقاتك ونصائحك وتقدم إليهم فى ضبطهم » ونحن نعلم أن الوحدات التى كان يتكون منها الجيش البيزنطى كانت وحدتين اللجيو ويتكون من ستة آلاف رجل ثم السنتريو وعدده مائة رجل ورئيس المائة هو السنتريونس » فنظام الجيش هذا ما أشك فى أنه متأثر فيه برسائل الحرب عند اليونان . » اهـ

لا أستطيع أن أفهم هذا الكلام إلا إذا حدثنى التاريخ أن جيوش العرب قبل عبد الحميد كانت تقاتل جملة ولم يكن لها إلا رئيس واحد وأن هذا الرئيس لم يكن يعتمد فى تحريك جيشه على أعوان من الأبطال يتولون جماعات من الجيش يتقدمون بهم أو يحجمون وأنا أعتقد أن تقسيم الجيش سنة طبيعية هدت إليها ظروف القتال والسرعة فى إنجاز الأعمال وقد حفظت لنا اللغة كثيراً من الأسماء التى تدل على أن العرب قد فهموا هذا وجربوه فى حروبهم : ومن ذلك المقنب والتو والقنبل والمنسر والسرية والخضيرة والجريدة وهكذا ومن بين هذه الأسماء ما يدل على المائة وأعتقد أنها كلمات استخدمها العرب قبل عبد الحميد ولم يكن لليونان ولا لغيرهم آثار فى وضعها .

أما الدليل الثانى فهو أقل من هذا فى المنزلة وأضعف منه فى الحجة إذ يتخذ المؤلف تقسيم عبد الحميد لرسالته الطويلة إلى أجزاء أساساً للقول بأنه نقل هذه الطريقة عن اليونان .

يقول الدكتور هذا وهو يعلم حق العلم أنها رسالة طويلة توشك

أن تكون كتابا وأنها تناولت نواحي مختلفة وضروبا عدة . ومن حق الكاتب في مثل هذه الرسائل الطويلة أن يتريع بين الفقرة والفقرة ومن حقه كذلك أن يفصل كل ناحية عن الناحية التي تليها لاختلاف الاتجاهين . وليس من الضروري أن يتعلم عبدالحميد هذه الطريقة عن أمة بعينها فهي الطبيعة التي يوحي بها طول الرسائل

أقول هذا وأنا مقدر لزعيم الأدب فضله ومعترف بجهوده الذي أفاد اللغة العربية ونهض بها في بلاد الشرق عامة .

وسأحاول فيما بعد إن شاء الله أن أناقش ما بقي من مسائل عل في هذا النقاش بعض الفائدة للطلاب . والله الموفق .

أحمد أبو بكر ابراهيم

المدرس المنتدب بحنتوب الثانوية بواد مدني بالسودان

الفن الهندي (*)

هذا كتاب لطيف الحجم كبير الفائدة ، يضم بين دفتيه أربع مقالات عن الفن الهندي كتبها أخصائيون ممن وكل إليهم تنظيم المرض الهندي بالأكاديمية الملكية .

فالمقالة الأولى كتبها الأستاذ راولسن ، أحاط بها بالتاريخ الاجتماعي والفني للشعب الهندي منذ العصر البليوليني ، معتمداً على الحفريات والكشوفات . وتحدث عن الفتح الإسلامي وبين أن الدين الإسلامي هو دين الاخاء والمساواه : فالأمير والعبد سواء أمام الله وكان الاسلام من أهم الأسباب التي جعلت جنوده ينجحون في غزو الهند المتنافرة المذاهب والعقائد ، وتكلم عن الدولة الغزنوية فقال : « وجاء شيوخ البراهمة سعياً إلى محمود الغزنوي وعلى أكفهم أموال عظيمة يقدمونها للفاتح المنتصر ويتوسلون إليه إلا يحطم آلهتهم فأجابهم الرجل: إني محطم أصنام ولست بائع انصاب » وقد أولى الكاتب السلطان محمود الغزنوي الكثير من غايته ، فتحدث عن الناحية الثقافية التي امتاز بها هذا الرجل ، وظهور الفردوسي . صاحب الشاهنامه (كتاب الملوك) والبيروني المؤرخ المالي في أيامه ، وتكلم عن الهند المنولية ولكنه لم يتعرض لوصف عمائرها ، وقد وصفها أستاذنا الدكتور عبد الوهاب عزام بك في ١٨ مقاله نشرتها الرسالة ، ظهر آخرها بالعدد ٧٦٣ .

وفي المقالة « الثانية تكلم الأستاذ كوردنجتون عن النحت وذهب في بحثه إلى ٥٠٠٠ سنه . وتنقل بين عصور الفن الوثني ، ولم يجد في الاسلام مادة لبحثه إذ أن الاسلام بطبيعته ما حق للاصنام المنحوته .

وتحدث الأستاذ ولكتس في المقالة الثالثة عن التصوير . وللاسلام في الهند باع طويل في هذا النوع من الفن ، يقول عنها الكاتب أنها وصلت حداً من الجودة والغنى والتنوع في دولة المنول بحيث يستعذبه الذواقع مهما اختلفت الأمزجة .

والمقالة الأخيرة كتبها الأستاذ أروين بعنوان (الفنون الصغرى الهندية) . والواقع أنه لم يحدثنا عن الأساليب الفنية التي تناولها الفنانون بقدر ما حدثنا عن تاريخ الصناعات اليدوية ، فبعد عن الغرض الفني وقد شرحها الدكتور زكي محمد حسن في كتابه فنون الإسلام وأدخل في مقاله الحديث عن التصوير بطريقة (الفريسكو) مع أنه قد اصطلح على جعله ضمن فن التصوير .

والمقالات شائقة مفيدة ولكن الكتاب لا يمكن أن يصور للقارىء فنون الهند جميعها . فعنوان الكتاب إذن لا يتفق مع ما يحتويه ، ولا ندري كيف اتخذ السير ريتشارد وينستدت هذا العنوان لهذه المقالات الأربع .

والكتاب يقع في ٢٠٠ صفحة وبه ١٦ لوحة ورسوم توضيحية أخرى قيمة ، وهو يعرف ما بين القارىء وبين دولة الهند التي صارت إلى هند ستان وباكستان تلك التي تريد أن تعود من جديد لتلعب دورها على مسرح النشاط العالمي ، نرجو أن يختلف كثيراً عن تلك الأدوار الممسوخة المقيتة التي تمثل اليوم في هيئة الأمم المتحدة .

(القاهرة) **مصطفى كامل ابراهيم**

وكيل اتحاد الثقافة الأثرية

(*) نشره فابر وفابر بلندن ١٩٤٧ Fader & Fader